الفصل الرابع

التجديد في الماضي والحاضر وأثره

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع
التجديد في الماضي والحاضر وأثره

وسنتناول في هذا الفصل أثر التجديد في ماضي وحاضر الأمة الإسلامية من خلال ذكر مزيج متنوع لبعض المجدّدين الإسلاميين ، لتكتمل نظرتنا حول حقيقة تجديد دين الأمة الإسلامية، ويجليها للدارسين ، حيث تمتليء المكتبة الإسلامية والعربية بالعلماء المسلمين المجدّدين في مختلف جوانب حياة المسلمين ، على مختلف مشاربهم ويختلف حول بعضهم كثير من الدارسين ، وبعض المتخصصين من مختلف أطياف الأمة . ويجب أن نستحضر في أذهاننا آراء العلماء المتعددة حول المجدد .

وهل هو شخص واحد فقط على رأس كل قرن ؟ ، أم من الممكن أن يتعدد المجدّدون في القرن الواحد ؟.

وحول تنوع مجالات التجديد ، والشروط الواجب توافرها في المجدد ، إلى غير ذلك من الآراء ، والتي لم تبتعد عن الصواب ، مع التأكيد على أن الاكتفاء بذكر أحد من المجددين الذين اتفق عليه غالبية العلماء لايعني ذلك أنه هو فقط من قام بالتجديد خلال القرن الذي نذكره فيه ، بل هناك غيره في مجالات الإسلام المختلفة.

وكان اختيار هذه النماذج بعناية ، لعدة أسباب وهي :

[١] أن يتضح مع ما قامت به تلك الشخصيات الإسلامية المعنى الواسع لتجديد دين الأمة الإسلامية ، والذي هو من كمال الدين .

[٢] التأكيد على صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان ، حيث نجد على امتداد تاريخ الأمة الإسلامية ، ورغم اختلاف البيئات والظروف مع مرور الأزمان ، ورغم تنوع مجالات التجديد واختلافها ، إلا أن الثابت أن جميع المجدّدين في كل مراحل تجديد دين الأمة يعودون إلى ثوابت الإسلام قرآنًا وسُنَّة ، ذلك النسيج الرباني ؛ حيث ينبع منهما تجديد دين الأمة الإسلامية .

[٣] تنبيه المختلفين حول بعض الشخصيات الإسلامية والتي كان لها اجتهادات في الدين الإسلامي ، أنه يجب دراسة فكرهم واجتهادتهم وآرائهم من خلال بيئتهم وعصرهم ، وإدراك أنه فكر بشري لايمثل ثباتًا ، أو ثوابتًا للأمة الإسلامية ، فثوابت الإسلام هي (القرآن والسُّنَّة) ، واستمرار أي فكر أو اجتهاد يرتبط أساسًا بمدي ارتباطه بثوابت الإسلام ، ويرتبط بمدى وجود ظروف مماثلة أو شبيهة أو قريبة من الظروف التي نشأ بها ، وأن كل اجتهاد مرتبط بالبيئة والعصر الذي ظهر فيه .

[٤] أن نتجنب الخطأ الكبير ، الذي وقعت فيه مدرسة أهل العقل والرأي ـ المعتزلة ـ في العصر العباسي في نهاية حكم الخليفة المأمون ٢١٨ هـ/ ٨٣٣ م . عندما فرضت فكرها عنوة ، وأرادت أن تكسبه صفة الثبات والاستمرارية ـ أي تجعله من ثوابت الإسلام ـ ؛ فحدث الخلل الكبير ، وكانت فتنة خلق القرآن ، والتي ترتب عليها فيما بعد خلل آخر ؛ عندما حرّمت مدرسة المحدّثين ـ أهل الحديث ـ في عصر الخليفة العباسي القادر بالله (٣٨١ ـ ٤٢٢ هـ / ٩٩١ ـ ١٠٣١ م) التيار العقلاني .

ثم بدأ الضعف يتسلل ، فأصاب الأمة الإسلامية إصابات مباشرة متتالية أدت إلى تراجعها حضاريًا، وسياسيًا ، وفكريًا ، واجتماعيًا ، ودينيًا ، ولكن مما لا شك فيه أن حركات التجديد لم ولن تتوقف ، وهي تتطور مع كل عصر .

[٥] الهدف الأهم هنا أن يتكون لدى المثقف المسلم ، بل وعامة المسلمين القدرة على التمييز بين ثلاث فئات من أصحاب الفكر والتأليف :

الفئة الأولى : هم المجتهدين حقًا من المسلمين ، والذين يلتزمون الدليل ، والذين إن أخطأوا فلهم أجر ، كما هو مقرر في الشرع الحنيف .

والفئة الثانية : هؤلاء الذين يريدون العبث بعقول وقلوب المسلمين ؛ ليفسدوا إيمانهم ـ والتاريخ مليء بأمثالهم ـ ، وهم يضمرون العداء للإسلام ، والمسلمين .

الفئة الثالثة : وهي التي تتكلم عن جهل بالدين ، أو عدم وعي بحقيقة الإسلام ، وهي واقعة تحت تأثير الفئة الثانية ، أو الإنبهار بالغرب وتقدمه العلمي والحضاري ، أو أغراض ومكاسب شخصية .

وحتى تتكون قاعدة عند عامة المسلمين ؛ يستطيعون من خلالها التمييز بين رُوَّاد الفكر الإسلامي ، وبين هؤلاء الدخلاء الذين يضمرون العداء للإسلام ؛ وليميزوا ما يقومون به من خلط وتزوير وافتراء سواء على الأشخاص أو الفكر نفسه أو التاريخ الإسلامي .

وهذه القاعدة والتي تميز بين الخبيث والطيب يجب ألا تقتصر خلال هذا العصر ـ عصر العولمة الشاملة والإعلام المتعولم ـ على فئة العلماء والمتخصصين الإسلاميين ، بل تمتد إلى عامة المسلمين في شتى بقاع الأرض ، وأن تصبح واجبة على كافة المسلمين ، وهي التحدي الحقيقي لعلماء الإسلام ، ولدول وحكومات العالم الإسلامي خلال هذه المرحلة الخطيرة في تاريخ الإسلام والبشرية جمعاء . ونبدأ مع هؤلاء المجددين .

أولاً: الخليفة عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ

(٦٣ـ١٠١ هـ / ٦٨٣ ـ ٧٢٠ م)

وهناك إجماع من العلماء على أن "عمر بن عبد العزيز"[١] ـ الخليفة الأموي ـ هو مجدّد القرن الأول الهجري ، فقد رأى العلماء توفر جميع الشروط التي يجب أن تتوفر في المجدّد فيه .وكان أول من أطلق عليه ذلك الإمام محمد بن شهاب الزهري ، ثم تبعه في ذلك الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمهما الله ـ [٢] .

وكان عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ عالماً تقياً ورعاً،وكان كثير من أصحاب النبي ﷺ، والتابعين على قيد الحياة في زمانه ، ثم إنه تعلم في صباه الحديث ، والفقه ، وتخرج فيهما ،وكان يُعد في الطبقة الأولى من المحدّثين ، وفي زُمرة أهل الاجتهاد من الفقهاء . تولى خلافة المسلمين " ٩٩ – ١٠١ هـ " .

وكان خلفاء بني أمية قبله قد تبنوا مبدأ التوريث في تولي الحكم ، وتوارت الشورى في حكم المسلمين ، فجاء عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ ، وأحيا "مبدأ الشورى " ، وأعفى الناس من الملك العضود .

فعند اختياره خليفة للمسلمين خاطبهم قائلاً :

إني ابتليت بهذا من غير رأي كان مني فيه ، ولا طلبة له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي ؛ فاختاروا لأنفسكم ؛

---

(١) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، وأمه : هي أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب .ولد سنة : ثلاث وستين . وقيل: سنة إحدى وستين، وهي السنة التي قتل فيها الحسين بن علي رضي الله عنهما بمصر .. وقيل: سنة تسع وخمسين .

(٢) عون المعبود في شرح سنن أبي داود . ١١ / ٣٩٣ ، محمد شمس الحق العظيم آبادي . تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان . بيروت : دار الكتب العلمية ط ١ ، جامع الأصول في احاديث الرسول . ١١ / ٣٢٢ . محمد ابن الأثير الجزري . تحقيق / محمد حامد الفقي . بيروت : دار إحياء التراث ط ٤ ،١٩٨٤ م ، التجديد في الإسلام . سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي .

فصاح الناس صيحة واحدة : قد اخترناك يا أمير ، ورضينا ، بك فتولّ أمرنا باليُمن والبركة، وبذلك خرج عمر بن عبد العزيز عن مبدأ توريث الولاية [١] .

ولم يكتف عمر باختياره ومبايعة الحاضرين له ، بل كان يهمه رأي المسلمين في الأمصار الأخرى ومشورتهم، فقال في خطبته الأولى عقب توليه الخلافة: " .. وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن أطاعوا كما أطعتم وإن أبوا فلست لكم بوالٍ ثم نزل ، وكتب إلى الأمصار الإسلامية فبايعت كلها " [٢] .

❁ وقد اهتم عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ بتفعيل مبدأ الشورى في خلافته، ومن أقواله في الشورى : " إن المشورة والمناظرة باب رحمة ومفتاح بركة ، لايضل معها رأي ، ولا يفقد معها حزم " . وقد حرص على إصلاح بطانته ، وقرّب إلى مجلسه العلماء ، وأهل الصلاح ، وأقصى أهل المصالح الدنيوية والمنافع الخاصة ، وكان يوصي بطانته ، ويحثهم على تقويمه ، فقد قال لعمر بن مهاجر : " **إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبابي ثم هزني ثم قل : يا عمر ما تصنع** " .

ولقد كان لهذا المسلك أثر في تصحيح سياسته التجديدية ونجاحها .

❁ ومع تحرّيه العدل في الرعية ، فقد حرص أشد الحرص على تطبيق العدل المتعلق بالدولة، وقيامها بحق أفراد الشعب في كفالة حرياتهم وحياتهم المعايشة ، وحتى لايكون فيهم عاجز متروك، ولا ضعيف مهمل، ولا فقير بائس، ولا خائف مهدّد ، وهذه الأمور كلها واجبات الحاكم في الإسلام ، وقد قام أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ بهذا الركن العظيم على أتم وجه . وكان يرى أن

---

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز . ص ٦٥ . أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي . بيروت : دار الكتب العلمية .

(٢) عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح على منهج النبوة . علي محمد محمد الصلابي .تم تحميل الكتاب من الشبكة الليبية .

المسؤلية والسلطة في النظام الإسلامي هي القيام بحقوق الناس ، والخضوع لشروط بيعتهم ، وتحقيق مصلحتهم المشروعة ، والخليفة أجير عند الأمة ، وعليه أن ينفّذ مطالبها العادلة حسب شروط البيعة . وقد ضرب على النقود عبارة : " أمر الله بالوفاء والعدل " ، وكان يطلب من ولاته التدقيق قبل إقامة الحدود . وأنصف أهل الذمة ، وأمر ألا يُعتدى عليهم ، أو على معابدهم .

كتب لعامله "الجراح بن عبد الله الحكمي" أمير خراسان : يا ابن أم جراح لا تضربن مؤمنًا ولا معاهدًا سوطًا إلا في حق ، واحذر القصاص ، فإنك سائر إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وتقرأ كتابًا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها (١) .

✿ خالف سيرة الحكام الأمويين ، واسترد ما لديهم من حقوق الدولة ، والمسلمين ، وردّها لبيت المال ، وأعلن لأبناء الأمة الإسلامية أن كل من له حق على أمير أو جماعة من بني أمية ، أو لحقته منهم مظلمة ، فليتقدم بالبيّنة لكي يُردُّ له حقه . وقد بدأ بزوجته .

✿ أحيا سُنَّة رسول الله ـ ﷺ ـ في تحري المساواة ، وإنصاف المظلوم ، وحسن المعاملة واللين ، وفي الرفق بالحيوان . وكلّف بعض العلماء بكتابة حديث رسول الله ـ ﷺ ـ ، وآثار صحابته من بعده ، فكانت أول حركة تدوين منظمة ترعاها الدولة .

✿ أشاع مبدأ الحرية بين المسلمين ، ونشر روح الإسلام السمحة في المجتمع كله ، وأطلق للناس حرية التجارة في البر والبحر ، وتبرأ من المظالم التي كان يرتكبها بنو أمية .

---

(١) تاريخ الطبري . تاريخ الأمم والملوك . ٧ / ٤٦٤ . ابن جرير الطبري . تحقيق / محمد ابو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت . ١٩٦٧م / ١٣٨٧ هـ .

تحرى الأمانة في الحكم ، وتوكيل الأمناء ، فقد كان يدقق في اختيار ولاته ، ويطالبهم باختيار أصحاب الكفاءة والدين فيمن يولونه شأنًا من شؤون المسلمين، ولا اعتبار لشيء آخر من قرابة أو نسب .

ولم تكن سياسته في التورع عن أموال المسلمين سياسة طبقها على خاصة نفسه فقط ، بل ألزم بها عماله وولاته،وقد عز في زمن عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ وجود من يقبل الزكاة كما قال "عمرو بن أسيد " .

أحيا مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وكانت الخلافة الأموية قد أخذت تتراجع عن الغاية التي قامت من أجلها في هذا الجانب ، وهي حراسة الدين ؛ فنهض عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ بهذا المبدأ ، ورفع لواءه وأعلى شأنه ، وجعله المهيمن والمقدم على ماسواه .

وما حقق عمر ـ رحمه الله ـ ما حققه من أعمال ، وإنجازات إلا انطلاقًا من خوفه الشديد من الله ، وطلبه مرضاته ، وقد استعان على ذلك بالعلماء التابعين ، وائمة الاجتهاد ؛ فكتب لعماله :

" اجتنبوا الأشغال عند حضور الصلوات، فمن أضاعها فهو لما سواها من الشرائع أشد تضييعًا [١] .

ولم يكتف عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ بإقامة الدين داخل دولته ، بل وجّه عنايته إلى غير المسلمين ، ودعاهم إلى الدخول في الإسلام ، وراسل ملوك الهند ، وملوك ما وراء النهر ، ووعدهم أن لهم ما للمسليمن وعليهم ما على المسلمين ، فأسلم كثير منهم ، وتسموا بأسماء العرب [٢] .

---

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز . ص ٢٢١ . أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي . بيروت : دار الكتب العلمية .

(٢) خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز . ص ٣٠ . أبو الحسن الندوي .

وبالجملة فقد حقق الغاية التي يريد الإسلام أن يقيم لأجلها حكومة ، وهي كما جاءت في القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾.

[الحج : ٤١] .

obeikandl.com

ثانياً : الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ

أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع

(١٥٠ـ٢٠٤ هـ / ٧٦٧ـ٨١٩ م)

واضع علم أصول الفقه

عُرف الشافعي بأنه أحد الأئمة الأربعة ـ الذين أوجدوا ببصرهم النفَاذ ، وذكائهم الفذ ، وفطنتهم النادرة مذاهبًا للفكر بقيت بقوتها وأصالتها تنجب المجتهدين في الأمة الإسلامية ، وقد اضطلعوا بعبء هذا العمل الجليل بدون أي مساعدة من نظام الحكم ، ولاقوا في سبيل ذلك مشقة عظيمة ـ ، وارتبط الشافعي في الفقه بمذهب معروف باسمه ، غير أن مقام الشافعي في مجال الفكر العربي الإسلامي أعظم من ذلك بكثير .

إن مكانه يرتبط بالدور الذي قام به أساسًا في مجال التجديد والاجتهاد ، وامتصاص الرأيين المتنازعين في عصره ، وتذويبهما في عصير واحد ، ونقل الخطين المتباعدين لالتقائهما في طريق واحد .

ولقد كان الناس قبل الشافعي ـ رحمه الله ـ فريقين متباعدين متنافرين : أصحاب الحديث ، وأصحاب الرأي .

- أما أصحاب الحديث فكانوا حافظين لأخبار الرسول ـ ﷺ ـ بعيدون عن النظر والجدل . وكان يمثل هؤلاء الإمام مالك وأصحابه في المدينة المنورة .
- أما أصحاب الرأي فكانوا أصحاب النظر ، والجدل ، والقياس ، وكان يمثلهم الإمام أبو حنيفة ، وتلاميذه في العراق .

ولقد استطاع الشافعي ـ رحمه الله ـ أن يمتص ما في تربة عصره من عصارة

المدرستين ، فقد اجتمع له فقه الحجاز ، وفقه العراق ، والتقى بمالك ، وصاحبه تسع سنين ، والتقى بتلامذة أبي حنيفة وأخذ عنهم ، فاجتمع له علم الحديث ، وعلم الرأي ، وقد مزج ذلك كله وصنع منه شيئًا جديداً ـ بعون من الله وتوفيقه ـ فكان قمة في مجال الفكر العربي الإسلامي ، ذلك هو " علم أصول الفقه " في كتابه المشهور الرسالة الأصولية .

وكان الناس قبل الشافعي ـ رحمه الله ـ يتكلمون في مسائل أصول الفقه ، ويستدلون ويعترضون ، ولكن ماكان لهم قانون كلي مرجوع إليه في معرفة دلائل الشريعة ، في كيفية معارضتها وترجيحاتها ، ومن هنا أتيح لهذا العالم النابغة أن يستنبط علم أصول الفقه ، ويضع قانونًا كليًا يرجع إليه في معرفة أدلة الشرع ، حتى قال الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ : " ما أحد ممن بيده محبرة وورق إلا وللشافعي في رقبته منه " .

وقد استوعب الشافعي ـ رحمه الله ـ برحلاته ثقافة عصره ، والتقى بأعظم رجال جيله " مالك ، وأبي يوسف « تلميذ أبي حنيفة »، وابن حنبل ، وكان ابن حنبل من تلامذته " .

قال الرازي : إن نسبة الشافعي إلى علم الأصول ، كنسبة أرسطو إلى علم المنطق ، ونسبة الخليل إلى علم العروض .

والشريعة عند الشافعي تضم علمين : علم العامة ، وعلم الخاصة :

أما علم العامة: فهو إيجاب الصلاة والصوم والزكاة ، وتحريم الزنا والقتل والسرقة وشرب الخمر . . وهذا العلم موجود في القرآن الكريم نصًا لا تأويل فيه ، وواضح من السُّنَّة المتواترة عن النبي ـ ﷺ ـ .

أما علم الخاصة : فهو ما يعرض للناس من فروع الشريعة مما ليس فيه نص من كتاب ، وحيث يوجد فيه نص يحتمل التأويل ، وهذا علم لايقوم به إلا الخاصة

ممن أتوا علم الكتاب والسُّنَّة ، وأخبار الصحابة ، واختلاف الناس ممن لهم حق " الاستنباط " .

والعلم عند الشافعي ـ رحمه الله ـ خمسة أنواع :

[١] الكتاب والسُّنَّة .

[٢] الإجماع فيما ليس فيه كتاب ولا سُنَّة ، وهو إجماع الفقهاء الذين أوتوا علم الخاصة ، ولم يقتصروا على علم العامة .

[٣] قول أصحاب النبي ـ ﷺ ـ رأيًا من غير أن يُعرف أن أحدًا خالفه .

[٤] اختلاف أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ في المسألة ، فيأخذ من قول بعضهم ما يراه أقرب إلى الكتاب والسُّنَّة ، أو يرجحه القياس .

[٥] القياس على أمر عرف حكمه بواحد من المراتب السابقة " الكتاب والسُّنَّة والإجماع على ترتيبها " .

والشافعي ـ رحمه الله ـ هو أول من تكلم عن " القياس " ضابطاً لقواعده ، مبيناً أسسه ، وقد فرق بينه وبين " الرأي " .

وقد استخرج قواعد الاستنباط ،ورسم الحدود للمجتهد ، وضوابط الاجتهاد .

التزام الشافعي بالدليل ودورانه معه حيث دار ، ونبذه للتقليد ، وقد قال : " إذا صح الحديث فهو مذهبي " ، وقال : إذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الحائط [١] .

● وقد لُقِّب ـ رحمه الله ـ في بغداد بناصر السُّنَّة [٢] .

بدأ الشافعي ـ رحمه الله ـ رحلته عام ١٦٤ هـ ، وبلغ مصر واستقر بها عام

---

(١) نوابغ الفكر الإسلامي . أنور الجندي ، دار الرائد العربي . ط ١ ، ١٩٨٣ م .

(٢) مفهوم التجديد . ص ٦٨ . بسطامي سعيد . دار الدعوة . ط ١ ، ١٩٨٤ م .

١٩٩ هـ ، في سن التاسعة والأربعين ، وقد نضج عقله واكتملت ثقافته .

وقد ألف كتاباً خالف فيه الإمام مالك ـ رحمه الله ـ حين رأي أن بعض الناس يقدسون آثاره وثيابه ، ووجد من يتحدث بحديث رسول الله ـ ﷺ ـ فيعارضونه بقول مالك .

وقال الفخر الرازي : إن الشافعي ـ رحمه الله ـ إنما وضع الكتاب عن مالك لأنه بلغه أن بالأندلس قلنسوة لمالك يستسقى بها ، وكان يقال لهم : قال رسول الله ـ ﷺ ـ فيقولون : قال مالك ـ رحمه الله ـ ؛ فقال الشافعي ـ رحمه الله ـ : إن مالكاً آدمي يخطيء ويغلط » .

وكان تجديد الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ مناسباً لعصره وبيئته والمجتمع العربي والإسلامي في هذه الآونة ، وكانت رسالته في علم الأصول شاهداً على ذلك .

ومات الشافعي ـ رحمه الله ـ وترك وراءه علماً غزيراً ، ونموذجاً للمسلم .

ومن مؤلفاته : " الرسالة الأصولية، كتاب الأُم ، كتاب السُّنن ، أحكام القرآن ، المسند في الحديث ، فضائل قريش ، آداب القاضي ، السبق والرمي " .

ثالثاً : الإمام ابن حزم علي بن أحمد ـ رحمه الله ـ

(٣٨٤ـ٤٥٦ هـ / ٩٩٤ - ١٠٦٤ م)

عملاق الأندلس ، ولد في قرطبة ومات فيها

وهو من المجدّدين في مجال مصححي المفاهيم،ومجددي بناء الفكر الإسلامي، وتلك مهمة ضخمة لم يتصدى لها إلا القليل، ومن أبرزهم" ابن حزم ، والغزالي، وابن تيمية " ، الذين ظهروا في مراحل مختلفة متوالية ، وفي فترة من أدق فترات تبلور الفكر الإسلامي ، وسعيه إلى بناء منهج شامل يضم مختلف التيارات ، ويشجب مختلف الانحرافات التي أثارتها الدعوات الباطنية ، والمخاصمة للإسلام أساسًا .

ويبدو منهج كل منهم في جملة واحدة هي: " التماس مفهوم القرآن أساسًا" .

وليس من اليسير فهم ابن حزم منفصلاً عن عصره ، فهو استجابة لتحديات عصره . لقد تعرض المجتمع الإسلامي في عصره لفساد خطير بعد سقوط الدولة الأموية ، وفي عهد ملوك الطوائف في الأندلس عامة ، وفي قرطبة خاصة . واتخذ الفقهاء من القياس ، وما إليه من الاستحسان وسيلة لتبرير الواقع ، ومحاولة إقرار انحراف المجتمع . ويعبر ابن حزم ـ رحمه الله ـ عن ذلك قائلاً : " إن الناس لم يعودوا يعرفوا الحلال والحرام في الكسب "،ونعي على علماء الدين في عصره موقفهم ، فقال : " إنهم أصبحوا عونًا على الفساد ، والطغيان ، وإنهم صاروا يأكلون على جميع الموائد ، وينافسون في مضمار الشر " .

لقد بلغ أمر مجتمع ملوك الطوائف الذي عاشه ابن حزم غاية الاضطراب استهتاراً وضعفاً ، وقلة اكتراث بالدين والخلق ، وشغل الأمراء بجمع المال ، وبناء القصور ، وفرض الجزية ، والمكوس على رقاب المسلمين ، وضعفوا عن مقاومة

خصوم الإسلام الطاغين على القرآن الكريم .

وفي هذا المجتمع المضطرب تورط بعض الفقهاء في التأويل ، والتحوير ، والاستنباط ، وكان تورطهم نتيجة نفاقهم ، ومجارتهم الحكام ، وأخضعوا النصوص لهوى الأمراء ، ومن هنا كانت صيحة ابن حزم ـ رحمه الله ـ إلى التمسك بظاهر النصوص ، حيث أنه الفصل الدقيق الذي لايمكن معه المساومة ، ولا يجوز فيه التغيير أو التلاعب .

ومن هنا كانت دعوة ابن حزم ـ رحمه الله ـ والتي نلخصها في جملة " التماس مفهوم القرآن ، والوقوف عند النص " ، وكان إصرار ابن حزم على دعوته ، والتماسه إليها البراهين والأدلة ، وتوسيع نطاقها على الفقه والعقائد جميعًا هادفًا إلى القضاء على محنة التأويل ، تأويل النصوص ، وتبرير أخطاء المجتمع .

ومن هنا كانت أصالته ، وصموده وإصراره ، وما عرف عنه من عنف في الجدل لوجه الحق خالصًا .

وهو جدل مهما بلغ من العنف فقد كان قائمًا على النزاهة العلمية ، والإرادة الصادقة .

لقد أراد ابن حزم ـ رحمه الله ـ أن يحرر الإسلام من أن يكون مطية لمجتمع منحل ، أو لهوى الفقهاء ، فحمل مفاهيم " ظاهر النص " سلاحًا قويًا معارضًا به الخطر ، وهاجم به الانحراف ، وقاوم به الفساد .

✿ وقد كان لابن حزم ـ رحمه الله ـ ببراعته العقلية ، وعمق فهمه للإسلام تلك القدرة القادرة على التحررمن جمود تقليد المذاهب المعروفة ، وتحرره من الخضوع لمفاهيم النصوص التي كانت قد انحرفت عن جادة الحق انحرافًا كبيرًا ، فقد نقد المذاهب الفقهية المعروفة ، وهاجم اعتمادها على القياس .

❁ ولقد كان أبرز معطيات فكر ابن حزم " نظرية المعرفة الإسلامية " التي سبق بها الفكر الغربي بسبعة قرون ، وهو الذي سبق علماء المسلمين إلى إقرار المفهوم القرآني في قيام المعرفة في الإسلام على أساس العقل والقلب معًا ؛ فقال : إن للإنسان ست حواس ، والنفس تدرك المحسوسات المادية بالحواس الخمس، وأمّا الحاسة السادسة فهي علم النفس بالبديهيات ـ يعني أن هناك أمور يدركها الإنسان ذو العقل بداهة من غير أن يعرف دليل عليها ـ فمن ذلك علمها أي " النفس " بأن الجزء أقل من الكل ، فإن الصبي الصغير في أول تمييزه إذا أعطيته ثمرتين وبكى ثم زدته ثالثة سُرّ .. وهكذا علم منه بأن الكل أكثر من الجزء .

❁ ولقد بلغ منهجه في المعرفة الإسلامية مبلغًا عاليًا من الأصالة ، ومنحته تلك الأصالة الفكرية ، والشجاعة النفسية التي واجه بها أخطاء عصره ومجتمعه ؛ فقاوم الانحرافات والخرافات في مختلف جوانب الفكر الإسلامي ، ورفض الإسرائيليات التي تقول بأن الأنهار – النيل ودجلة – تنبع من الجنة ، وقال : إن كل من له أدنى معرفة بالهيئة يدري أن مخرج النيل عين الجنوب ، وأن مخرج دجلة والفرات من الشمال .

وأنكر ابن حزم ـ رحمه الله ـ الخوارق على أيدي أحد من الناس ، وقال : إن الناس جميعًا سواءً فلا يقدس صالحًا، ولا يعتقد قوة خارقة لصالح، أو غير صالح.

وأثبت أن الأرض كروية بالبرهان العقلي ، ودعا ابن حزم ـ رحمه الله ـ إلى دراسة الهندسة ، والمنطق والفلك ، وقال : إنها لاتخالف الشريعة معارضًا أراء الفقهاء في عصره ، وقال : إن بعض هذه العلوم يسند الشريعة ويؤيدها ، ونفي مزاعم اليهود أنهم ملكوا من نهر مصر إلى نهر الفرات .

وقد رد على " الدهرية " ، والقائلين بقدم العالم ، ودحض الفكرة المأخوذة من اليونان ، والقائلة : بأن الأفلاك والنجوم تعقل ، وأنها ترى وتسمع ، وقال : أن

ليس للنجوم تأثير فى أعمالنا ، ولا عقل تدبرنا به ، ويتصل بنظريته في المعرفة مفهومه للعقل ، فهو يكرم العقل ، ولكنه لا يسلم له تسليمًا مطلقًا على النحو الذي يقول به غير المسلمين ، ويضعه في مكانه الحق .

وهو في منهجه العلمي غاية في الإنصاف من النفس ، وتقبل الحق أينما وجده ، ويقول : إنه لايجوز لمن يملكون أدوات الاجتهاد والعقل أن يقلدوا إمامًا في كل ما يقول من غير ترجيح بدليل .

وتعطي آراء ابن حزم ـ رحمه الله ـ في مجموعها مفهومًا متكاملاً عميقًا للإسلام ملتمسًا فيه منابعه الأصيلة ، بحيث أصبح أساسًا لحركات الاجتهاد والتجديد المتوالية التي استهدفت تطهير الإسلام مما علق به في عصره وفي بيئته ، على أساس التماس معينه الصافي .

وقد تحدث ابن حزم ـ رحمه الله ـ عن مفهوم الإسلام ، وناقش أخطر القضايا في مجتمعه وهي : " التعليم اجباري ، الأرض لمن يزرعها ، المرأة والرجل يتساويان في العلم والثقافة ، ولكل مواطن حلتان ومسكن " .

وكان ابن حزم ـ رحمه الله ـ لايقبل ترديد أراء غيره ، أو الاقتصار فيما يقدم على أراء السابقين ، بل كان دومًا يسعد بالجديد (١) .

ونشير هنا أن من الأخطاء الشائعة بين الكثير من الدارسين وعلماء المسلمين : إدارة نقاش حول فقهاء المسلمين وانتاجهم ، دون دراسة عصورهم ، ودون معرفة الظروف والأحوال الاجتماعية لمجتمعاتهم . وهو الأمر الذي يقود إلى الاختلاف حولهم ، أو حتى التناقض معهم ، وأحيانًا توجيه النقد الشديد لهم ، وهذا غير مقبول عقلاً ، ولايقبله البحث العلمي ، فيجب عدم إفراغ أي عصر من ظروفه

---

(١) نوابغ الفكر الإسلامي . أنور الجندي . بيروت : دار الرائد العربي . ط ١ . ١٩٨٣ م .

وأحداثه ، وأن يكون واضحًا أن لكل مجتمع ولكل عصر ظروفه الخاصة به ، والتي تختلف عن غيره ، والإسلام قد جاء لكل المجتمعات ولكل البشر إلى قيام الساعة .

والحجة في الإسلام لا تكون لعالِم ـ مهما بلغ علمه ـ ولكن بالأدلة الصحيحة المعتمدة على الكتاب والسُّنَّة .

obeikandl.com

رابعاً : الإمام الغزالي حجة الإسلام

أبو حامد الغزالي بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ـ رحمه الله ـ

(٤٥٠ـ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ـ١١١١م)

ويراه المؤرخون "مجدد الإسلام في القرن الخامس الهجري"[١]

وكانت الحياة الفكرية ـ في الفترة التي ظهر فيها في العالم الإسلامي ـ تجيش بتيارات عديدة متضاربة : منها المعتزلة ، والصوفية ، والفلاسفة ، والباطنية ، والملاحدة ، وأهل الترف والإباحة .

وتزعزعت العقائد بشيوع الفلسفة اليونانية . ولم يكن المحدّثون والفقهاء على نصيب من العلوم العقلية ، ولم يكونوا يستطيعون أن يفهّموا الناس نظام الدين الإسلامي بأسلوب عقلي مقنع حسب مقتضيات زمانهم ، فكانوا يلجئون لقمع ضلالهم في العقائد إلى الزجر والتوبيخ .

وقد استعرت المجادلات ، والمناظرات ، والخلافات التي تؤيدها العصبيات المذهبية ، والأهواء السياسية ، فلم يلبث الغزالي ـ رحمه الله ـ أن أحسّ بمدى الخطر الذي يواجه مفاهيم الإسلام الصحيحة وجوهره النقي الذي كاد يختفي تحت هذا الركام الهائل من الأضاليل والأهواء التي تتمثل في محاولات الشعوبية والباطنية لطمس هذه المنابع الثرة من القيم المستمدة من جوهر الإسلام .

هنالك انتدب الغزالي ـ رحمه الله ـ نفسه لحمل لواء الدفاع عن الإسلام، ومجاهدة خصومه ، وترشيد شبابه ، وتصحيح مفاهيمه ، وتحرير قيمه[٢] .

---

(١) نوابغ الفكر الإسلامي . أنور الجندي . بيروت : دار الرائد العربي . ط ١، ١٩٨٣ م .

(٢) موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه ، وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم . ص ٦٨، أبو الأعلى المودودي . الدار السعودية للنشر والتوزيع . ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

ولم يكن الغزالي ـ رحمه الله ـ صوفيًا بالمعنى الذي تحمله هذه الكلمة اليوم ، ولكنه كان قد كون مفهومًا متكاملاً للإسلام ، ومزج بين الفقه والتصوف ، وحرّر الفلسفة من وثنيات اليونان ، وأعلى من شأن مفهوم القرآن الكريم على مفهوم الكلام ، ودحض شبهات الباطنية زائفي الرأي والإدعاء والفلسفة الذين اندفعوا وراء الطابع الهليني ، والصوفية الذين انحرفوا إلى القول بالفناء المطلق أو وحدة الوجود ، فخالفهم في ذلك كله ، وعارض ما ذهب إليه الحلاج وابن عربي ، ودفع الشبهات التي التصقت بالعقيدة والسُّنَّة ، وعاد بالفكر الإسلامي إلى أصل جوهره بعد أن أوشكت الفلسفة ، والتصوف ،والكلام أن تنحرف به عن غايته ، أو تخرج به عن طبيعته السمحة البسيطة،وانتقد الفلسفة اليونانية انتقاداً لاذعًا ؛ فاستطاع أن يوقف موجة الانبهار بالفلسفة اليونانية وما وراءها ، وعاد بالفكر الإسلامي إلى الأصالة المستمدة من جوهر الإسلام نفسه .

وفي كتابه " إحياء علوم الدين" قد جمع المسلمين في عقيدة موحدة ، فقهاء، ومتكلمين ، وصوفية ، وأزال ذلك الصراع الذي كان يدفعهم إلى الاختلاف ، وبين الحدود التي تكون للمرء الحرية داخلها في الرأي والتأويل ، والحدود التي يُعد تعدّيها خروجًا من الإسلام .

وأوضح كذلك عقائد الإسلام الأصلية ، ونبّه إلى الأمور الدخيلة التي دست فيها ، وهذا التحقيق والتبيين من الإمام وسّع وجهة نظر الناس ، وجرّد الفرق المتخاصمة والمكفرة بعضها بعضًا من معظم أسلحة جدالهم ونزاعهم .

وقد انتقد نظام التعليم في عصره،وأنه كان فيه عيبان اثنان كبيران :

أولهما : أنه كان يفرق بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، وذلك لامحالة يفضي بالناس إلى التفريق بين الدين والدنيا ، وهو باطل البتة في الإسلام .

والثاني : أنه كان قد دخل فيه باسم العلوم الشرعية أمور لم تكن لها أهمية في الشرع، فكان من نتيجة ذلك أن تصورات الناس في باب الدين كانت معرضة للخطأ والضلال، وكان التحزب والتعصب ناشئًا فيهم لكون بعض الأمور الدخيلة الأجنبية قد حازت الأهمية في الدين بغير حق .

فمحق الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ هذه المفاسد ، واقترح مكانه نظامًا تعليميًا جديداً ، ورسم الغزالي ـ رحمه الله ـ منهجًا متكاملاً متماسكًا للتربية ، وعلم النفس الإسلامي قوامه ترابط النفس والأخلاق والدين ، وجعل هدفه من معرفة النفس أن يكون ذلك سبيلاً إلى إصلاحها ، وإلى تهذيب الأخلاق ، وخالفه فيه كثير من معاصريه باديء الأمر ، ولكن سلم الناس بمبادئه في جميع الممالك المسلمة آخر الأمر .

ولا مغالاة في أن كل ما وضع في الأزمان التالية من نظم التعليم الجديدة جاءت متبعة آثار النظام الذي وضعه هذا الإمام .

وقد حمي الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ الفكر الإسلامي من أن تفترسه الفلسفة اليونانية كما افترست الفكر اليهودي، والمسيحي ، والفارسي، والهندي من قبل، ولم يسلم من شرها غير فكر القرآن الكريم .

وقد حمي العامة من أخطار الفلسفة، ومذاهب الباطنية، وكشف أمام المثقفين عجز أدلة الفلاسفة عن معرفة مسائل الربوبية ، وقرر أن السعادة لا تتاتى بالإيمان الفلسفي ، بل بالعمل المؤدي إلى الاتصال بالروح الأعلى ، وقد استخدم مع الحكام أسلوب التعريف والوعظ ، واستخدم أسلوب الرسائل معهم كلما سنحت فرصة لذلك ، كما دعا إلى مقاطعة الحكومة الظالمة اقتصاديًا واجتماعيًا .

خامساً : ابن تيمية شيخ الإسلام

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله تقي الدين أبو العباس

ـ رحمه الله ـ

(٦٦١ - ٧٢٧ هـ / ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨ م)

يقف ابن تيمية ـ رحمه الله ـ على رأس قمة من قمم الفكر الإسلامي كواحد من المصلحين والمجاهدين ، وهو في تقدير كثير من الباحثين رابع أربعة كانوا رمزاً للتحدي ورد الفعل في مواقف التطور الفكري والاجتماعي للإسلام والعالم الإسلامي . وهم : " الأشعري ، وابن حزم ، والغزالي ، وابن تيمية " .

وقد ظهر في عصرٍ مضطربٍ زاخرٍ بالدعوات والنظرات في مجال الفلسفة ، والتصوف في أواخر القرن السابع الهجري وأوائل القرن الثامن الهجري ، فلم يلبث أن انتدب نفسه لتصحيح المفاهيم ورد الحقائق إلى أصولها ، وكشف الزيوف والعناصر المختلفة المتضاربة، وعمد في إصرار إلى حل تعقيدات التعصب والأوهام ، والتلبيسات التي أدخلت الفكر الإسلامي مفاهيم منحرفة ، وقد أفحم خصومه.

كانت رسالة ابن تيمية ـ رحمه الله ـ هي وحدة الفكر ، والقضاء على الفرقة التي أوجدتها انحرافات المذاهب والدعوات ، مما كان لها أثرها على جذور الفكر الإسلامي وقيمه الأساسية ، فكان آية عمله أن يوثق القيم الإسلامية ويؤكدها حتى يواجه في ضوئها كل النظرات الوافدة ، والآراء الغريبة .

كان ابن تيمية ـ رحمه الله ـ هو رد الفعل لهذا التحدي الضخم الذي واجه الفكر الإسلامي بتغليب مذاهب ضالة على المفهوم السمح السهل للإسلام ، ومن هنا كانت حملاته على دعاة التقليد والتعصب المذهبي، ومقاومة ما نسب إلى

مفهوم التصوف في الإسلام مما وفد مع ثقافات الأمم ، ومحاربة نظرية الحلول ووحدة الوجود والباطنية ، كما حارب جمود العلماء عند النصوص دون النظر إلى تطور الأمم ، ودخول عناصر جديدة وأحداث جديدة ، كما هاجم الانحلال الخلقي ، وانهيار القيم الأساسية في ظل ضربات المغول ، واستشراء الدعوات الضالة ، كما حارب تقديس الموتى والالتماس من الأولياء .

وأنكر على الفقهاء إغلاق باب الاجتهاد والوقوف عند قيود المذاهب الأربعة فلا يتخطونها ، وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، وقال : إن نصوص الشريعة الإسلامية وافية وقادرة على الحياة والتطور .

لقد هاجم ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كل المنحرفين من رجال عصره من الفقهاء ، والفلاسفة ، والصوفية ، والأشعرية، وحاربهم جميعًا بالحجة والدليل والبرهان ، فرموه عن قوس واحدة بالزندقة والكفر ، وألّبوا عليه الحكام ؛ فسجن في القاهرة، والإسكندرية ، ودمشق . وصمد ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ولم يتزعزع، ولم يرعبه السجن ، ولم يفت من عزمه ، وكان يخرج كل مرة أشد صلابة وقوة ، ولا يلبث أن يعاود دعوته من جديد .

وقد كان خلال هذه الفترة تنتشر زوايا الصوفية ورباطتهم وخوانقهم التي انتشرت في كل مكان ، وأخذت أراؤهم المشوهة المضطربة تبلبل الأفكار ، وقد أخرجت الإسلام من بساطته إلى تعقيدات الحلول ووحدة الوجود .

وكانت فرقة الرفاعية في دمشق وحلب ، والجيلانية في العراق ، والشاذلية في مصر ، كلها تسيطر على الرأي العام والأمراء ، وتتصارع فيما بينها ثم تتصارع مع الفقهاء ، والفقهاء يتصارعون فيما بينهم ، والصراع محتدم بين الحنابلة والأشاعرة ، وبين الفقهاء والمتكلمين ، وبين المتكلمين والصوفية .

وقف ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بين هذه الفرق جميعًا يدعو إلى السُّنَّة الصحيحة،

ولم يدخل هذا الميدان إلا وقد استعد له . يقول " ابن دقيق العيد " في وصف ابن تيمية ـ رحمهما الله ـ : " رأيت رجلاً جمع العلوم كلها بين عينيه ، يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد " .

ومضى ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يناهض البدعة في العقائد ، والأحكام ، والعبادات ، ويكافح مباديء الحلولية في التصوف ، مستنكراً رأيهم في الموتى والأولياء ، كما أنكر على المعتزلة مسائل الصفات ، وأنكر على الفقهاء غلق باب الاجتهاد ، والوقوف عند قيود المذاهب الأربعة،كما عارض الفلاسفة في آرائهم ، ومغالطاتهم ، وبعدهم عن بساطة الإسلام .

ولم يقف عند هذا ، بل اتجه إلى الناحية الإيجابية، فتحرّر من قيود مذهب الأشعري في الأصول ، ومذاهب الأئمة الأربعة في الفروع ، وحارب خرافات الأحمدية بدخول النار ، وغيرها .

وقد وجه كتبًا إلى الصوفية يطلب فيها منهم أن يعدلوا عن مسايرة عقائد الحلول والإتحاد ، مبينًا لهم خطرها على الإسلام ، وأنها لم تأتِ في كتاب ؛ وأغري الصوفية الحكام به ، ولاقى هولاً شديداً في السجون ، ولكنه لم يتوقف مطلقًا عن المضي في دعوته .

وهاجم ابن تيمية ـ رحمه الله ـ غلاة الشيعة الروافض ، وكان يؤمن بأنهم أداة هدّامة لوحدة المسلمين ، ومن عوامل تفريق الجماعة .

وكان من أهم من عني بمعارضتهم ورفض آرائهم " القرامطة والباطنية " مؤمناً بأن مبادئهم كانت مصدر الحركات الهدّامة التي هبّت في وجه الإسلام ؛ إذ كانوا عونًا لكل عدو هاجم المسلمين .

وقد جرد ابن تيمية ـ رحمه الله ـ الآراء الطيبة التي حملتها الفرق المختلفة ،

وحررها من الأهواء ، وردها إلى الأصول الإسلامية الأصلية، وذلك مما أشار إليه في كتابه " السياسة الشرعية لإصلاح الراعي والرعية " ، في مواجهة السموم التي بثَّها إخوان الصفا في رسائلهم .

وقد عارض الغلو في تعظيم عمر وعلي ـ رضي الله عنهما ـ ، وما يضاف إليهما من الأفعال ، وهاجم التوسل بالأنبياء والأولياء .

كما أعلن ابن تيمية ـ رحمه الله ـ الحرب على الجبرية التي هي مفهوم التسليم الكامل للواقع ، وانسحاب الفرد من المجتمع والاعتقاد بسقوط الإرادة الإنسانية سقوطًا كاملاً ، وتقبل الأوضاع الذليلة تقبلاً كاملاً ، بدعوى أنها إرادة الله مع الاستسلام للظلم والذل ، والانفصال عن المجتمع ، وإيثار العزلة في الخوانق ، والتكايا على نحو قريب من الرهبانية ، والاتصال بالأولياء على نحو قريب من الوثنية ، واتخاذ عقيدة " القدرية " تثبيطًا للعزم ، وغلاً للأيدي .

وهاجم مفهوم الحلوليين الذي يقول : إن الخالق يحل في شخص المخلوق ، ومنه انبعثت فكرة تأليه بعض أفراد عوالم الوجود .

وهاجم ركن العبادة في التصوف الحلولي المبني على هجران الدنيا بكل ما فيها ، والزهادة ، والتقشف ، وحرمان النفس ، والتهاويل ، والرموز ، وقال : إنها ليست من الإسلام أصلاً .

ومن أخطر المعضلات التي خاضها ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

نقده للمذهب اليوناني ، وتحطيمه لقواعد منطق أرسطو ، وله في هذا المجال ثلاث دراسات هي :

[١] نقض المنطق .

[٢] الرد على المنطقيين .

[٣] نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان .

وقد فك ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن الذهن الإسلامي قيود الفلسفة الإغريقية ، واستنبط منطقاً إسلامياً جديداً يتفق مع الذهن العربي الإسلامي ، ويحرّره من ربقة الفلسفة الإغريقية ، وقد وصل إلى أن انتهج من القرآن منطقاً إسلامياً .

ويمكن القول هنا : بأن ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أوقف تيار الفلسفة اليونانية الذي كان أيامه جارفًا للعقلية الإسلامية العربية نفسها ، وأنقذها من تسلط عقلية أرسطو[١] .

وزاول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بنفسه القيادة الحقيقية للأمة ، وكان يدافع عن مصالحها ضد المستغلين ، ويحفظ حقوقها ضد المنتهبين ، ويدفع عنها كيد عدوها ما استطاع .

ومارس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعزير المفسدين .

أحيا مدرسة الحديث والسُّنَّة في عصره ، ورفع شأنها ، واستطاع أن يجتذب إليها صفوة العلماء في عصره . قام بالرد على النصارى في كتابه القيم " الجواب الصحيح" [٢] .

مارس الجهاد ضد المغول، فقد كانت غارات المغول ، والتتار قد دوخت الأمة الإسلامية من نهر السند إلى الفرات ، وكانوا زاحفين إلى الشام ؛ فكان من المجاهدين ضدهم ، فنفث في قلوب الرؤساء وعامة المسلمين روح الغيرة ، والحمية والحماس ، وحب الجهاد ، وحرّضهم على مقاومة هؤلاء المعتدين ، وأعطى صورة حقيقية عن المسلم المجاهد في سبيل الله ، وكان تجديده دين الأمة مرتبط ببيئته وزمانه كغيره من المجدّدين الإسلاميين .

---

(١) نوابغ الفكر الإسلامي . أنور الجندي . بيروت : دار الرائد العربي . ط ١ . ١٩٨٣ م .
(٢) التجديد في الإسلام . سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي .

سادساً : الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ

(١١١٥ ـ ١٢٠٦ هـ / ١٧٠٣ ـ ١٧٩٢ م)

وقد ولد ونشأ في بيئة نجد العربية البدوية ، التي ظلت بمعزل عن التأثيرات الحضرية والحضارية إلى حد كبير ، والتي استمرت امتداداً لبساطة الحياة العربية البدوية القديمة ، فلم تعرف العلوم والفنون التي أثمرتها احتكاكات العرب الأوائل بالأمم التي فتحوا بلادها ، وصراعات الإسلام السلفي البسيط مع الأبنية الفكرية والديانات التي تحدته وتحداها بعد إنجاز الفتوحات .

ومحمد ابن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ سليل أسرة من الشيوخ الفقهاء ، أخذ عنهم فكر الإسلام الواضح والبسيط ، وعندما رحل إلى المدينة طلباً للمزيد من العلم ، تقبل ما وافق بساطة البادية التي نشأ بها ، ورفض ما نحا نحو الفلسفة وجدل علماء الكلام ، وكذا الأمر عندما ذهب إلى البصرة وغيرها من المدن الإسلامية .

ومن هنا كان التحدي الأول الأساسي الذي نهض محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ لمحاربته ، هو ما طرأ على الإسلام كما وعته البيئة العربية في طور بساطتها من بدع وإضافات ومحدثات ، سواء كانت وليدة الخرافة والشعوذة ، أو ثمرة للمجتمعات المتمدنة ذات الحياة الفكرية المعقدة والمركبة ، أو مزيجاً من هذين المصدرين معاً [١] .

ولقد وصل المجتمع ـ في نجد ـ في هذه الفترة إلى ما يمكن أن يوصف بأنه ردة إلى الجاهلية الأولى في معظم نواحي الحياة ؛ حيث كانت نجد غارقة في حالة

---

(١) تيارات الفكر الإسلامي . د/ محمد عمارة . دار الشروق .ط ١ ، ١٩٩٧ م .

إغراق في الجهل ، والإيمان بالخرافات ، وتقديس الأضرحة والقبور والأولياء ، والاعتقاد بقبور ومزارات وأحجار وأشجار على أنها تضر وتنفع ، وتصل وتقطع وتعطي وتمنع ، وتفرق وتجمع من دون الله .

وانتشر فساد الأخلاق والآداب ، وتلاشى ما كان باقيًا من آثار التهذيب ، واستغرقت المجتمعات في الجهل. وكثر السلب والنهب وفقد الأمن . ونال مكة والمدينة مانال عيرهما من سائر المدن الإسلامية . وغابت عن الناس فضائل القرآن [١] .

وكما قال جولد سهيره " . . . نشأ في الإسلام بتأثير عدة عوامل بعضها سيكولوجي ، وبعضها تاريخي ، شكل من أشكال العبادة ، وهذا الشكل مهما عُدَّ مناقضًا لفكرة الألوهية في الإسلام ، ومهما اعتُبر خارجًا عن جادة السُّنَّة الصحيحة ـ سرعان ما اكتسب "حقوقه المدنية " في دول الإسلام الشاسعة . . . . . وهذا الإيمان السادج يرى أن الله بعيدًا عن الناس ، وأن الأولياء المحليين هم أدنى إلى نفوسهم وقلوبهم ؛ ولهذا فهم موضع التكريم في عبادتهم ، كما أنهم مبعث مخاوفهم ، وعقد آمالهم ، ومحل تبجيلهم وورعهم . وأضرحة هؤلاء الأولياء والأماكن المقدسة المتصلة بها هي مواضع عبادتهم التي يرتبط بها أحيانًا ما يظهره العامة من تقديس لبعض الآثار والمخلفات ، بل إن العامة تخص هذه الأضرحة ذاتها بما لايقل عن العبادة المحض " [٢] .

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد . ص ١٦ –٢٣ عثمان بن بشر النجدي الحنبلي . الرياض: مكتبة الرياض ١٩٨٠م . ولمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ص٣٣ . منير العجلاني .
وماضي الحجاز وحاضره . ص ١٤٤ . حسين نصيف، أثر الدعوة الوهابية ص ٢٣٣ . محمد حامد الفقي . مشاهداتي في الحجاز . ص ٥٣ . عباس متولي حمادة ، التجديد في الإسلام . ص ١٠٧ . سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي .

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام . أجناس جولد تسهير . الفقرة ٦ ص ٦٠ .

وهو نفس ما قاله المؤرخ الأمريكي " لو ثروب ستودارد " حيث يقول : " وفي القرن الثامن عشر كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع ومن التدني والانحطاط أعمق دركة ... وانتشر فساد الأخلاق والآداب ... وساد الجهل ... وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ؛ فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجنًا من الخرافات وقشور الصوفية ، وخلت المساجد من أرباب الصلوات ، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء ، وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم أو التعاويذ والسبحات ، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء ، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور . وغابت عن الناس فضائل القرآن ... ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام ..... " (١) .

فكانت دعوة محمد ابن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ ضرورة نبذ الشرك ، والعودة إلى نقاء التوحيد الإسلامي ، والعودة إلى فهم الإسلام كما فهمه سلف الأمة ؛ فقطع شجرة الذئب المقدّسة . " وهي شجرة في العيينة يعظمها الجهلة ، ويعلقون عليها الحاجات ؛ اعتقاداً منهم بقداستها (٢) .

وهدم القبة المقامة على ضريح زيد بن الخطاب إلى غير ذلك (٣) ، وتعرض نتيجة ذلك للمطاردة ، ولمحاولات القتل .

والحقيقة أن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ كان أكثر من شيخ ، وأعظم من فقيه ، وصاحب رؤية عميقة للمجتمع ، ومن ثم عمل على نشر

---

(١) حاضر العالم الإسلامي . لوثروب ستودارد . ترجمة : منير البعلبكي ، تعليق : شكيب أرسلان . دار الفكر ١ / ٢٥٩ .

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد . ص ١١ . عثمان بن بشر النجدي الحنبلي . الرياض : مكتبة الرياض ١٩٨٠ م .

(٣) زيد بن الخطاب هو أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، صحابي اسلم قبل أخيه ، وشهد المشاهد ، ثم كانت راية المسلمين في يده يوم اليمامة ؛ فثبت إلى ان قتل ، وكان جهلة نجد يغالون في تعظيم قبره ، ويزعمون انه يقضي لهم حاجاتهم . " كتاب الإصابة " ١ / ٥٦٥ . ابن حجر .

دعوته عن طريق حكام المناطق في الجزيرة العربية ، وبدأ دعوته في " حريملاء ثم في العُيينة ، ثم في الدرعية " ، فقد وعى الحكمة التي تقول : " إن الله يزع بالسلطان ما لايزع بالقرآن " .

أما تعاليم الشيخ المقتبسة من كتبه ، ورسائله ، وشروح أبنائه ، وأحفاده ، وأنصاره فتقوم على مبدأ رئيسي هو : أنه لا سبيل إلى معرفة العقيدة والأحكام وكل ما يتصل بها إجمالاً ، وتفصيلاً ، واعتقاداً ، واستدلالاً إلا من القرآن والسُّنَّة المبينة له ، والسير في مسارهما ، فما يقرره القرآن ، وما تشرحه السُّنَّة مقبولاً لا يصح رده ، وليس للعقل سلطان في تأويل القرآن ، وتخريجه إلا بالقدر الذي تؤدي إليه العبارات ، وما تضافرت عليه الأخبار [١] .

(أ) آثار دعوته التجديدية :

يمكننا القول أن الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ مثَّل بداية لمرحلة جديدة في تجديد دين الأمة الإسلامية ، وأصبحت حركات تجديد دين الأمة الإسلامية أو معظمها بعده تتجه لأفراد المجتمع المسلم ؛ ليشاركوا ويسهموا في تجديد دين الأمة بشكل مباشر؛ فلم يتصدي لعملية التجديد وحده كعالم دين، أو فقيه أو مصلح ، أو مجدد لدين الأمة ، بل وجد أن الظروف قد تغيرت ، وأنه لكي يؤتي التجديد ثماره يجب أن يكون من خلال جماعة ، أو دولة تعمل على حمايته ـ أي فكر التجديد ـ ، بل وتتولى هي نشره ، والدعوة له ، وتطبيقه كلما أمكن ذلك ؛ لذلك يمكن التأريخ معه لبداية توجه جديد لتجديد دين الأمة في شكل جماعة، أو من خلال دولة إسلامية، أو عن طريق الدولة ذاتها ، والذي أخذ يتطور بعد ذلك حسب ظروف كل عصر وبيئته ، فوجدنا الحركة

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية . ص ١٢٥ . الشيخ أبو زهرة . دار الفكر العربي . ط١ ، ١٩٨٧ م .

السنوسية، والجماعة الإسلامية ، والإخوان المسلمين ، كلهم قد تأثروا به وإن لم يصل أحدهم إلى المستوى الذي وصل إليه في جعل الدولة تتولى أمر التجديد بنفسها .

وقد أضاف لمبادئ وأفكار ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مجوداً خاصة تجلّى في تأكيده الحرب ضد البدع والخرافات .

وقد دعمه الزعيم محمد بن سعود ، فقام بمغامرات حربية لإقامة السُّنَّة الصحيحة وإعادتها [١] ، ولحرص ابن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ الشديد على مبدأ التوحيد، وتطهير المجتمع الإسلامي من شائبة الشرك والبدع،سمي هو وأتباعه بـ(الموحدين) .. أو (أهل التوحيد) (إخوان من أطاع الله) أو (أهل الفرقة الناجية) .. وسماهم خصومهم بالوهابيين نسبة إليه ، وشاعت التسمية الأخيرة بين الناس ... وبخاصة الأوربيين ، وأخطأ بعضهم فجعل هذه الحركة الإصلاحية (مذهباً) جديداً في الإسلام،تبعاً لما افتراه خصومهم ، ولا سيما الترك العثمانيون بل وأطلق عليهم اسم (الخوارج) ومنهم من جعلهم كالروافض والبابية [٢] .

ومن الآثار المباشرة لحركة الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ لتجديد دين الأمة في بيئته ما يلي :

[١] أنشأ دولة إسلامية تحمي دعوته بالقوة .

[٢] استطاعت هذه الدعوة أن تحرر الأراضي التي وصلت إليها من ألوان الشرك والخرافة ، وأن تعيد الناس إلى السُّنَّة النبوية الشريفة .

---

(١) العقيدة والشريعة أجناس جولد تسيهر: ص ٢٦٧ .

(٢) جولد تسيهر ، المرجع السابق:ص ٢٦٩، دائرة المعارف وجدي: ١٠ / ٨٧٢، والبابية: أتباع سيد علي محمد المولود في بوشير في إيران سنة ١٨٢١، ادعى أولاً نزول الوحي الإلهي عليه ، وأنه المهدي المنتظر الذي بشر النبي ﷺ بظهوره . ثم دعا نفسه بأنه (المرآة) التي بها يشاهد الله نفسه (بروكلمان:٤ / ١٦٠ وما بعدها) .

[٣] تعلق الناس في الجزيرة العربية بأراء ابن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ ، وحرص علماؤها على بثها في نفوسهم ؛ وكان ذلك سبباً في أن وجد فيهم ثقافة مع أميتهم ، ونشرها أتباعه في الربوع التي دانت لهم ، وكان الجهل يسيطر عليها ؛ فنشأت حركة علمية صافية ترد على المخالفين وتفند شبهاتهم ، وكانت ثقافة دينية حدودها تعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وابن تيمية ، ومذهب أحمد بن حنبل ـ رحمهم الله ـ .

[٤] ربطت هذه الدعوة الإنسان في الجزيرة العربية بالله وحده .

[٥] فتحت باب الاجتهاد في الفروع بعد أن ظل مغلقاً منذ سقوط بغداد في سنة ٥٦٥ هـ .

[٦] أكدت ضرورة القيام بواجب الجهاد ، وإحياء هذه الفريضة التي أصابها الوهن، فكانت الدّعوة ثورية عارمة على الاستبداد والضعف والانحلال الذي آل إليه العالم الإسلامي [١] .

[ب] حول تجديد الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

لقد كانت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الرد العربي الإيجابي على بعض التحديات التي واجهت الإنسان العربي في ذلك التاريخ ، إلا أنها كانت رد عرب البادية البسطاء في الأساس وبالدرجة الأولى ، وليس رد عرب البلاد التي قطعت في التحضر والتمدن شوطًا أكبر مما قطعه أهل نجد وتهامة والحجاز .

ولقد كانت تجديداً للإسلام ، وطليعة يقظة أهله على عتبة العصر الحديث ، والدعوة إلى عروبة الخلافة بعد أن استأثر بها الأتراك زمنًا طويلاً ، ولكن ظروفها وبيئتها قد أبقت عليها حركة تجديد ويقظة لأعراب شبه الجزيرة وحدهم،

(١) العالم الإسلامي في مواجهة الاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي . انور الجندي ص ٧٠ .

فاختصت بهم واختصوا بها [١] ، ولأن الوهابية نشأت في البيئة البدوية، فظواهر النصوص كانت كافية للإجابة على ما تثيره بيئتها البدوية البسيطة من مشكلات، وما تطرحه من علامات استفهام .

وما اختلاف الرأي بين بعض المسلمين حول قبول ، أو رفض تجديد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ إلا نابع من عدم وضوح الرؤية حول فهم معنى تجديد دين الأمة الإسلامية ، فحتى هذه الأوقات لم يكن المسلمون يمثلون جماعة واحدة في ظروف بيئية متشابهة ؛ ولذلك فمن الخطأ محاولة تعميم تجديد الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ على كافة المجتمعات الإسلامية ، أو معظمها في وقته ، ثم الحكم عليها ، والخطأ الأكبر محاولة استدعاء تجديده لعصر أو بيئة مختلفة عن بيئته ، أو استدعائه للعصر الذي نعيشه ، أو الحكم عليه من خلال هذا العصر .

فالمؤكد أن ماقام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ من أجل تصحيحه غير موجود الآن وليتضح ذلك أكثر نتسائل :

هل فكر التجديد الذي قام به بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ يصلح للفترة التي ظهر فيها مثلا : الإمام الشافعي ، أو يصلح لتلك الفترة التي ظهر فيها الإمام أبو حامد الغزالي أو العكس ؟ .

والإجابة بالطبع لا ، فالدعوى التجديدية التي قام من أجلها كل منهم مختلفة تمامًا ، وإن كان رجوع الجميع إلى مصدر واحد وهو ثوابت ديننا الحنيف ، والتي هي نسيج رباني صالح لكل زمان ومكان . فتناول أية فترة تاريخية ، وما نشأ فيها من فكر أو تجديد هو مرهون بزمانها ومكانها ،وظروف المجتمع والبيئة وقتها.

---

(١) تيارات الفكر الإسلامي . د/ محمد عمارة . دار الشروق ط١ . ١٩٩٧ م .

إن الفكرة هنا تتلخص في فهم أن أي فكر بشري هو محدود زمانياً ومكانياً، وليس من الثوابت الإسلامية ، والتي هي فقط كلام الله ـ القرآن الكريم ـ ، وسُنَّة نبيه – ﷺ – ، والأصول والقواعد للتعامل معهما وفهمهما .

ولذلك فمن الخطأ مناقشة أي فكر ، أو أي تجديد ، ومحاولة إعطائه صفة الاستمرارية ، أو أنه من الثوابت في الدين الإسلامي ، أو تقيد حركة المسلمين به على مر العصور مهما كان رقي هذا الفكر أو هذا التجديد، فهذا للثوابت الإسلامية فقط.

لذلك ، فما قام به الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ هو تجديد لدين الأمة ، وإحياء لها بكل ما تعنيه الكلمة ، وبكل ما تحمله من معنى .

وأما للسؤال عن المجتمع المسلم المعاصر، فنقول :

إن هناك حالة اجتماعية جديدة سوف يفرز الإسلام لها ما يناسبها من دعوات التجديد الإسلامية الصحيحة .

سابعاً : الجامعة الإسلامية

"السلفية - العقلانية - المستنيرة"

بدأ هذا التيار فيلسوف الإسلام وموقظ الشرق "جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ - ١٨٩٧ م)" وتجسد فكره ، وخاصة ما تعلق بتحرير العقل ، والإصلاح الديني في الآثار الفكرية،والجهود العلمية للإمام محمد عبده ١٨٤٩ - ١٩٠٥م، وكان جناح المشرق العربي المفكر عبد الرحمن الكواكبي ١٨٥٤- ١٩٠٢ م ، وفي المغرب العربي عبد الرحمن بن باديس ١٨٨٩ - ١٩٤٠ م .

ومن حول هؤلاء جميعًا عرفت الأمة الإسلامية بداية أوسع تيارات التجديد في عصرها الحديث .

ونجد هذا التيار - مدرسة الإحياء والتجديد - عند "جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده" سلفي في أخذه عقائد الدين وأصوله على النحو النقي المبرأ من الخرافات والإضافات . وهي هنا سلفية تتفق مع الوهابية ، وخاصة في إزالة شبهات الشرك ، والوثنية ، والتوسل ، والوسائط عن عقيدة التوحيد ، ولكنه نظرًا لطبيعة الحركة واتساعها على مستوى العالم العربي ؛لم يقتصر في فهمه للإسلام "كحضارة وتراث" على فهم السلف الصالح له ؛ لأن الإسلام كحضارة ، وعلومه العقلية والفلسفية ، ومذهبه في التصوف الفلسفي كل ذلك قد حدث بعد عصر السلف ، وهو قد حدث لأن ضرورات موضوعية اقتضته ، ومن ثم فإن هذا التيار لايسقط هذا التراث من تراث الإسلام ، وهو لايعتبره بدعًا سيئة ؛ لأنه يحدد إطار البدع السيئة بما يجعلها خاصة بأصول الدين ، وعقائده الجوهرية . . ففيها لا ابتداع ولا تطوير مهما اختلف الزمان والمكان .

أما في الإسلام كحضارة وعلوم ، فإن التطور دائم والإضافات مستمرة ، ومن ثم فإن الابتداع هنا حسن وليس بالسيئ ، كما هو الحال في أصول الدين .

فهذا التيار سلفي تمامًا في تصوره للذات الإلهية ، وهو يعلي من شأن العقل ، ويجعله معياراً وميزانا حتى بالنسبة للنصوص والمأثورات،وحتى لنستطيع أن نقول أن موقفه من العقل والفلسفة يجعله الامتداد المتطور لمدرسة المعتزلة ـ فرسان العقلانية في تراثنا القديم ـ .

وهو يسلك أيضًا سبيل التصوف الفلسفي ـ وليس الطرق الصوفية وشعوذتها ـ ويحله من العلوم والأنشطة العقلية مكانًا عليًّا [١] .

والذي أود أن أؤكد عليه هنا أن السلفية في حقيقتها البعيدة تعني :

" المحافظة والرجوع لثوابت وجوهر الدين الإسلامي في أي مرحلة لتجديد دين الأمة الإسلامية " ، وبغير هذه العودة لايكون ثمة تجديد لدين الأمة ، وهذه نقطة مركزية في فهم وتحديد معنى التجديد في الدين الإسلامي . وإلا فماذا نجدّد ؟! .

وقد قاد هذا التيار التجديدي حركة اليقظة العربية في العصر الحديث ، وقاد النضال ضد الاستعمار في المنطقة العربية ، وتصدى للهجمة الاستعمارية العنيفة الكاسحة انطلاقًا من عقيدة الجهاد الإسلامية .

وكان يرى أن القاعدة الأساسية للإصلاح وتيسير الدين للدعوة هي الاعتماد على القرآن الكريم ، فالإصلاح الديني لايقوم إلا على القرآن وحده أولاً والسُّنَّة النبوية الشريفة ، ثم فهمه حراً صحيحاً .

ويجب أن نعي أن هذه الحرية هنا مقيدة بأصول وقواعد الفقه وثوابت الدين .

---

(١) تيارات الفكر الإسلامي . د/ محمد عمارة ، دار الشروق ، ط.١ ، ١٩٩٧م .

ولقد انطلق هذا التيار في دعوته لتجديد حضارتنا المتميزة من عدة منطلقات يجمعها ويربطها خيط واحد :

[١] الأمة الإسلامية أمة عريقة ، ولحضارتها مزاج ، وطابع خاص ـ إسلامي ـ ، وتتميز هذه الحضارة بالموقف المتوازن والموازن بين المتناقضات ، وتمثيلها للضمير في مواجهة حضارات تميل إلى طرف واحد . ويعطي هذا الحضارة الإسلامية ميزة فريدة ، ويعصمها من مخاطر وأخطار يشكو منها الآخرون .

[٢] أن للمزاج الحضاري المتميز علاقة عضوية بتكوين الأمة ، ومقومات هذا التكوين ، وليس من السهل تجريدها من ثوبها الحضاري ، والقذف بها تحت عباءة الآخرين ، بل يستحيل ذلك حتى لو أراد نفر من بنيها مخلصين كانوا أم مخادعين .

[٣] أن الدعوة إلى "حضارة عربية إسلامية متميزة " لايعني تقديس الماضي ، ولا العودة إليه كي نعيش في نظمه وقوالبه ، بل ولا الأخذ بجميع أصوله ، وإنما الذي تعنيه هذه الدعوة هي الأخذ بالأصول التي تمثل القسمات المميزة للشخصية العربية الإسلامية .

وقد ساهم هذا التيار في تحرير العقل العربي من الجمود الذي أصابه لعدة قرون ، كما شارك في إيقاظ وعي الأمة نحو التحرر ، وبعث الوطنية ، وإحياء الاجتهاد الفقهي لمواكبة التطورات السريعة في العلم ، ومسايرة حركة المجتمع وتطوره في مختلف النواحي السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية [١] .

---

(١) من المراجع هنا كتاب / زعماء العصر الحديث . احمد امين . مكتبة النهضة المصرية .

وأهم الأصول الفكرية لهذه المدرسة الإحيائية التجديدية :

[١] نقد ورفض الجمود والتقليد :

وذلك لما يضعه الجمود والتقليد من تعطيل لملكات الهداية والتعقل والتجدد، التي أنعم الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، وأيضاً لما يضعه هذا الجمود والتقليد من "فراغ فكري" .

ذلك ، كان نقد ورفض الجمود والتقليد أول الأصول الفكرية لمدرسة الإحياء والتجديد لأن هذا الأصل هو بمثابة تحطيم القيود التي تحول بين الأمة وبين الانعتاق من المأزق الحضاري الذي تردّت فيه ، والذي يمثل التخلف الموروث أحد وجهي عملته ، بينما يمثل الاستلاب الفكري والحضاري الغربي الوجه الثاني لعملة هذا المأزق الحضاري .

ولقد كان نقد ورفض مدرسة الإحياء والتجديد للجمود والتقليد عاماً ومطلقاً سواء أكان تقليداً للغرب وجموداً على فكرية التغريب ، أو تقليداً لتجارب الأسلاف والتراث الموروث؛ذلك لأن المقلدين لتمدن الأمم الأخرى ـ كما يقول الأفغاني : ليسوا أرباب تلك العلوم التي ينقلونها ، والتمدن الغربي هو ـ في الحقيقة ـ تمدن للبلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة ، وسير الاجتماع الإنساني .. ولقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة ، المنتحلين أطوار غيرها ، يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء إليها .. وطلائع لجيوش الغالبين ، وأرباب الغارات يمهدون لهم السبيل، ويفتحون لهم الأبواب ثم يثبتون أقدامهم[١] .

فتقليد فكرية الحضارة يخلق "عملاء" لا "علماء" ، ذلك أن تميز حضارتنا

---

(١) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني . ص ١٩٥ - ١٩٧ دراسة وتحقيق: د محمد عمارة طبعة القاهرة ١٩٦٨م.

الإسلامية المؤسس على تميز شريعتنا الإسلامية ، يباعد بين الحضارة الغربية المادية النفعية ، وبين أن تكون نموذجاً في الإحياء والتجديد والنهوض .

ومدنية هذه الحضارة الأوربية – كما يقول الإمام محمد عبده – : هي مدنية الملك والسلطان ، مدنية الذهب والفضة ، مدنية الفخفخة والبهرج ، مدنية الختل والنفاق ، وحاكمها الأعلى هو "الجنيه" عند قوم ، والليرة عند قوم آخرين، لا دخل للإنجيل في شيء من ذلك[١] .

ويقترب من هذا التقليد "للآخر الغربي" تقليد الأسلاف المسلمين والجمود على الموروث الحضاري الإسلامي ، فهو وإن لم يدخل في " العمالة " للحضارة الغازية ، إلا أنه يضع الفراغ الفكري الذي يتمدد فيه فكر "الأعداء و العملاء" .

[٢] التجديد :

وهذا التجديد الذي يجمع بين سلفية العودة للمنابع والأصول الإسلامية وبين عصرية فقه الواقع المعيش واستشراف المستقبل ، هو في النسق الفكري الإسلامي ـ أكثر من مجرد خيار؛ لأنه " ضرورة إسلامية " اقتضاها ويقتضيها كون الشريعة الإسلامية هي الشريعة " العالمية "والخاتمة ، وبدون هذا التجديد ـ الضرورة ـ لاتتمكن الشريعة الإسلامية من أن تكون "عالمية" حقا ، ولا "خاتمة" حقًا ، أي أن التجديد هو السبيل لتحقيق إرادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن تكون شريعة محمد ـ ﷺ ـ ورسالته هي العالمية والخاتمة لرسالات السماء . .وأن تظل حجة الله على عباده قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولهذه الحقيقة من حقائق الأصول الفكرية لمدرسة الإحياء والتجديد ، كانت جهود هذه المدرسة معالم

---

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده . ج ٣ ، ص ٢٠٥ دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة – طبعة القاهرة ١٩٩٣م.

على طريق تجديد دين الإسلام لتتجدد به دنيا المسلمين .

وانطلاقًا من الفكر النبوي ، الذي جعل التجديد سُنَّة الله وقانونًا من قوانين الفكر الإسلامي ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ : " **يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**" رواه أبو داود . .

والذي جعل التجديد عامًّا في كل ميادين الفكر والعمل،قال الرسول ـ ﷺ ـ : " **إن الإيمان لَيخلَقُ في جوف أحدكم كما يَخلَقُ الثوب ، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم**" . رواه الطبراني .

"**جددوا إيمانكم . . قيل : يا رسول الله ، وكيف نجدد إيماننا ؟ قال : أكثروا من قول : لا إله إلا الله**" . رواه الإمام أحمد . .

وانطلاقاً من هذه التوجيهات النبوية ، التي جعلت التجديد سُنَّة وقانوناً عاماً وشاملاً أعلنت مدرسة الإحياء والتجديد معالم هذا المنهاج التجديدي ، فقال الإمام محمد عبده : لقد دعوت إلى :

- تحرير الفكر من قيد التقليد . .
- وفهم الدين على طريقة سلف الأمة ، قبل ظهور الخلاف . .
- واعتبار الدين من ضمن موازين العقل البشري . .
- وإصلاح أساليب اللغة العربية . . .
- والتمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة .

● وقد خالفت في الدعوة إلى ذلك رأي طلاب علوم الدين ، ومن على شاكلتهم ، وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم [١] .

---

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده . ج ٣ ، ص ٣١٨ . دراسة وتحقيق: د . محمد عمارة – طبعة القاهرة ١٩٩٣م .

[٣] الإصلاح بالإسلام :

والإصلاح يكون بالإسلام،وليس بالنموذج الحضاري الغربي والعلماني،الذي اقتحم عالم الإسلام في ركاب الغزوة الأوربية الحديثة .. وعن ذات الأصل ـ الإصلاح بالاسلام.. لا بالتمدن الغربي ـ قال جمال الدين الأفغاني : " إن الدين هو أم الأمم ، وبه فلاحها ، وفيه سر سعادتها ، وعليه مدارها.. وهو السبب المفرد لسعادة الإنسان.. وإنا معشر المسلمين إذا لم يؤسس نهوضنا وتمدننا على قواعد ديننا وقرآننا فلا خير لنا فيه ، ولا يمكن التخلص من وصمة انحطاطنا ، وتأخرنا إلا عن هذا الطريق ، وإن ما نراه اليوم من حالة ظاهرة حسنة ، من حيث الرقي والأخذ بأسباب التمدن ، هو عين التقهقر والانحطاط لأننا في تمدننا هذا مقلدون للأمم الأوربية ، وهو تقليد يجرنا بطبيعته إلى الإعجاب بالأجانب ، والاستكانة لهم والرضا بسلطانهم علينا ، وبذلك تتحول صبغة الإسلام ، والتي من شأنها رفع راية السلطة والغَلَب، إلى صبغة خمول وضعة، واستئناس لحكم الأجنبي[١].

ويقول الإمام محمد عبده :

إن سبيل الدين ، لمريد الإصلاح في المسلمين ، سبيل لا مندوحة عنها ، فإن إتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين ، يحوجه إلى إنشاء بناء جديد.. ليس عنده من مواده شيء ، ولا يسهل عليه أن يجد من عماله أحداً.. وإذا كان الدين كافلاً بتهذيب الأخلاق ، وصلاح الأعمال ، وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها ، ولأهله من الثقة فيه ما ليس لهم في غيره ، وهو حاضر لديهم ، والعناء في إرجاعهم إليه أخف من إحداث ما لا إلمام لهم به ، فلم

---

(١) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني . ص ١٣١، ١٧٣، ٣٢٨ . دراسة وتحقيق : د محمد عمارة طبعة القاهرة ١٩٦٨م

العدول عنه إلى غيره ؟! [١] .

[٤] الوسطية الإسلامية :

والوسطية الجامعة هي صيغة العدل والتوازن ، التي ميزت الإسلام وشريعته وحضارته ، عندما جمعت بين الأصول والفروع ، بين الثوابت والمتغيرات ، بين المنابع والمصابّ ، بين الموروث الصالح والوافد النافع ؛ ولذلك كانت هذه الوسطية ـ لهذه الأمة الإسلامية ـ " جعلاً " إليها .

قال تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وفسرها الرسول – ﷺ – بأنها العدل الذي يجمع – بالتوازن – عناصر الحق والصواب من الأطراف والمصادر المختلفة ، وأحياناً المتضادة ليؤلف بينها ، ويقيم منها سبيلاً وموقفًا وسطًا وجامعًا ، فقال ـ ﷺ ـ : " **الوسط العدل ، جعلناكم أمة وسطاً** " رواه الإمام أحمد . .

ويعبّر الإمام محمد عبده عن هذا الأصل فيقول: ظهر الإسلام لا روحياً مجرداً، ولا جسدياً جامداً ، بل إنسانياً وسطاً بين ذلك ، آخذاً من كلا القبيلين بنصيب ، فتوفر له من ملاءمة الفطرة البشرية مالم يتوفر لغيره [٢] .

[٥] إعلاء مقام العقل :

العقلانية الإسلامية المؤمنة ضرورة دينية للإيمان بالله وصفاته ، ولفقه الدين

---

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده . ج ٣ ، ص ١٠٩، ٢٣١ . دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة – طبعة القاهرة ١٩٩٣م .

(٢) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده . ج ٣ ، ص ٢٤٢ . دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة – طبعة القاهرة ١٩٩٣م .

وحيًا ونبوة ورسالة ، ومناطًا للتكليف بأوامر الدين ونواهيه ، وسبيلاً عقليًا لإبلاغ دعوته وإقامة حجته ، وإزالة الشبهات عن أصوله ومقاصده . وذلك فضلاً عن كونها شكرًا لله ـ سبحانه وتعالى ـ الذي أنعم بنعمة العقل على الإنسان ؛ ولذلك شاعت في أدبيات هذه المدرسة الإحيائية أحاديث إعلاء الإسلام مقام العقل ..

فهذه العقلانية الإسلامية المؤمنة قد آخت بين العقل والنقل ، وبين الحكمة والشريعة ، على النحو الذي صوره أجمل تصوير حجة الإسلام أبو حامد الغزالي عندما قال : " إن أهل السُّنَّة ... قد تحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول ، وعرفوا أن من ظن ... وجوب الجمود على التقليد واتباع الظواهر ما أتوا به إلا مس ضعف العقول وقلة البصائر . وإن من تغلغل... في تصرف العقل حتى صادموا به قواطع الشرع ، ما أتوا به إلا من خبث الضمائر ، فميل أولئك إلى التفريط ، وميل هؤلاء إلى الإفراط ، وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط.... فمثال العقل : البصر السليم عن الآفات والآذاء ، ومثال القرآن : الشمس المنتشرة الضياء ، فأخلق بأن يكون طالب الاهتداء المستغني إذا استغنى بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء . فالمعرض عن العقل ، مكتفيًا بنور القرآن ، مثال : المتعرض لنور الشمس مغمضًا للأجفان ، فلا فرق بينه وبين العميان . فالعقل مع الشرع نور على نور ... "[1] .

وإن من قضايا الدين مالا يمكن الاعتقاد به إلا من طريق العقل ، كالعلم بوجود الله ، وبقدرته على إرسال الرسل ، وعلمه بما يوحى إليهم ، وإرادته لاختصاصهم برسالته .

والله يخاطب في كتابه الفكر والعقل والعلم ، بدون قيد ولا حدّ.. والوقوف عند حد فهم العبارة مضرٌّ بنا ، ومنافٍ لما كتبه أسلافنا من جواهر المعقولات .

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد . ص ١ ، ٢ . الإمام ابو حامد الغزالي . تحميل الكتاب من شبكة الإنترنت .

ومع هذا الإعلان لمقام العقلانية المؤمنة ، هناك ـ في فكر هذه المدرسة الإحيائية ـ الحذر والتحذير من العقلانية اللادينية،التي تكتفي بالعقل عن النقل، والتي تستغني بالنسبي عن المطلق والكلي والمحيط . . فالعقل البشري وحده ليس في استطاعته أن يبلغ بصاحبه مافيه سعادته في هذه الحياة..؛ لهذا كان العقل محتاجًا إلى معين يستعين به في وسائل السعادة في الدنيا والآخرة .

[٦] الوعي بسُنن الله الكونية :

تلك التي تحكم سائر عوالم المخلوقات ، والتي تمثل قواعد علم الاجتماع الديني في التقدم والتخلف، في النهوض والانحطاط ، في الانتصارات والهزائم ، وفي التدافع بين الدعوات والأمم والحضارات .

ولقد دعت أدبيات هذه المدرسة الإحيائية إلى تأسيس علم السُنن والقوانين الإلهية في الاجتماع الإنساني .

وقال الإمام محمد عبده ـ في تفسيره قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) ﴾ .

[آل عمران : ١٣٧] .

إن إرشاد الله إيانا أن له في خلقه سُننًا ، يوجب علينا أن نجعل هذه السُنن علمًا من العلوم المدونة ، لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه ، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبينون لها سُنن الله في خلقه ، كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن الكريم بالإجمال ، وبيّنها العلماء بالتفصيل ، عملاً بإرشاده ، كالتوحيد وأصول الفقه . والعلم بسُنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها ، والقرآن يحيل عليه في مواضع كثيرة، وقد دلنا على ماخذه من أحوال الأمم ، إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل

اجتلائها ، ومعرفة حقيقتها . . إن لله في الأمم والأكوان سُننًا لا تتبدل، وهي التي تسمى شرائع ، أو نواميس، أو قوانين . . ونظام المجتمعات البشرية، وما يحدث فيها هو نظام واحد لا يتغير ولا يتبدل ، وعلى من يطلب السعادة في المجتمع أن ينظر في أصول هذا النظام حتى يرد إليه أعماله ، ويبني عليها سيرته ، وما يأخذ به نفسه . . .[١] .

[٧] الدولة في الإسلام « مدنية ـ إسلامية » .. لا كهنوتية .. ولا علمانية :

ولأن " الدولة " لم ترد في أصول الإيمان ، ولا في أركان الإسلام . . كانت ككل النظم الحياتية إبداعًا مدنيًا إنسانيًا ،وجزءاً من الاجتهادات البشرية المتطورة، تقيمها الجماعة المؤمنة لتحقيق المقاصد الدينية والدنيوية . ومصدر إقامتها والسلطة ، والسلطان فيها هو الأمة ، بشرط ألا تخرج هذه السلطة ، ولا هذا السلطان عن الشريعة ـ التي هي بنود عقد وعهد الاستخلاف ـ فالأمة مستخلفة لله ، والدولة مستخلفة عن الأمة . . وكلاهما : " الأمة والدولة " محكومة سلطتهما بإطار الثوابت الشرعية .

وبهذا التصور تميزت وتتميز الدولة الإسلامية عن دولة الكهانة الكنسية التي دمجت الدولة في الدين ، وغابت عنها الأمة . . وعن الدولة العلمانية ، التي فصلت بين الدولة والدين ، فغابت عنها الشريعة . .

وعن هذا الأصل من أصول الفكر في مدرسة الإحياء الديني ، يقول الإمام محمد عبده :

" ليس في الإسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة،والدعوة إلى الخير،

---

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده . ج ٥، ص ٩٤، ٩٥، ج ٣، ص ٢٨٤ . دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة – طبعة القاهرة ١٩٩٣م.

والتنفير من الشر ، وهي سلطة خولها الله لأدنى المسلمين،يقرع بها أنف أعلاهم ، كما خولها لأعلاهم يتناول بها من أدناهم .. أصل من أصول الإسلام ـ وما أجلّه من أصل ـ قلب السلطة الدينية والإتيان عليها من أساسه ، هدم الإسلام بناء تلك السلطة ومحا أثرها،حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله اسم ، ولا رسم.

ولم يدع الإسلام لأحد ـ بعد الله ورسوله ـ سلطانًا على عقيدة أحد ، ولا سيطرة على إيمانه ، فليس في الإسلام ما يسمى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه.. والإسلام يحدد أن الأمة ، أو نائب الأمة هو الذي ينصب الخليفة ، والأمة هي صاحبة الحق في السيطرة عليه ، تخلعه متى رأت ذلك من مصلحتها ، فهو حاكم مدني من جميع الوجوه . ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه الإفرنج " ثيوكراتيك " أي : سلطان إلهي.. وكذلك القاضي ، والمفتي ، وشيخ الإسلام.. لم يجعل الإسلام لهؤلاء أدنى سلطة على العقائد وتحرير الأحكام ، وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية قدرها الشرع الإسلامي ، ولا يسوغ لواحد منهم أن يدّعى حق السيطرة على إيمان أحد ، أو عبادته لربه ، أو ينازعه في طريقة نظره ، إن الإيمان بالله يرفع الخضوع والاستعباد للرؤساء الذين استذلوا البشر بالسلطة الدينية ، وهي دعوى القداسة والوساطة عند الله ، ودعوى التشريع والقول على الله دون إذن الله . أو السلطة الدنيوية وهي سلطة الملك والاستبداد ، فالمؤمن لا يرضى لنفسه أن يكون عبداً لبشر مثله للقب ديني أو دنيوي ، وقد أعزه الله بالإيمان ، وإنما أئمة الدين مبلّغون لما شرَّعه الله، وائمة الدنيا منفّذون لأحكام الله ، وإنما الخضوع الديني لله ولشرعه، لا لشخوصهم وألقابهم .

ومع هذا.. فالإسلام دين وشرع .. لم يدع ما لقيصر لقيصر ، بل كان من شأنه أن يحاسب قيصر على ماله ، ويأخذ على يده في عمله .. فكان الإسلام :

كمالاً للشخص ، وألفة في البيت ، ونظامًا للملك ، امتازت به الأمم التي دخلت فيه عن سواها ممن لم تدخل فيه.. " (١) .

[٨] الشـــورى :

فالدولة الإسلامية ـ بل وكل ميادين الاجتماع الإسلامي ـ مؤسسة على الشورى ، التي يشارك فيها وبها كل إنسان في العمل العام ، وذلك من خلال وبواسطة المؤسسات الشورية ، والنيابية ، والدستورية.." فلابد من إشراك الأمة في حكم البلاد عن طريق الشورى ، وذلك بإجراء انتخاب نواب عن الأمة تسن القوانين.. والقوة النيابية لأي أمة كانت لا يمكن أن تحوز المعنى الحقيقي إلا إذا كانت من نفس الأمة .. وبذلك يشارك الأهالي بالحكم الدستوري الصحيح .. والأمة هي التي تُملِّك حاكمها على شرط الأمانة والخضوع لقانونها الأساسي ، وتُتوِّجُهُ على هذا القسَم ، وتعلنه له : يبقى التاج على رأسه ما بقى هو محافظاً أمينًا على صون الدستور ، وأنه إذا حنث بقسمه وخان دستور الأمة ، إما أن يبقى رأسه بلا تاج ، أو تاجه بلا رأس.." (٢) .

وقد كان المسلمون في الصدر الأول على هذا النهج من المراقبة للقائمين بالأعمال العامة ، حتى كان الصعلوك من رعاة الإبل يأمر مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه – وهو أمير المؤمنين – وينهاه فيما يرى أنه الصواب.." (٣) .

---

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده . ج ٣، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٣ ، ٢٨٥ : ٢٨٨ ج ٤، ص ٤١٢ . دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة – طبعة القاهرة ١٩٩٣م.

(٢) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني . ص ٤٧٣، ٤٧٧، ٤٧٩ – طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م.

(٣) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده . ج ٥، ص ٥٩ . دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة – طبعة القاهرة ١٩٩٣م.

[٩] العدالة الاجتماعية :

التي تحقق التكافل الاجتماعي بين الأمة كلها ، فالإخاء الذي عقده المصطفى - ﷺ - بين المهاجرين والأنصار ، وكان أشرف عمل تجلّى به قبول اشتراكية الإسلام الوسطية - التي أشار إليها القرآن بأدلة كثيرة . . والمغايرة لاشتراكية الغرب القائمة على التطرف وروح الانتقام من جور الحكام والأحكام - ذلك أن تنعم فريق من قوم وشقاء فريق آخر ، في محيط واحد ، وبمساع ليس بينها وبين مساعي الآخرين كبير تفاوت ، مما لا يتم به نظام الاجتماع[١] .

والله - سبحانه وتعالى - عندما أضاف مصطلح " المال " في القرآن الكريم إلى ضمير " الفرد " في سبع مرات وإلى ضمير " الجمع " في سبع وأربعين مرة ، أراد أن ينبّه بذلك " على تكافل الأمة في حقوقها ومصالحها ، فكأنه يقول : إن مال كل واحد منكم هو مال أمتكم . . " [٢] .

[١٠] إنصاف المرأة :

إنصاف المرأة لتشارك مع الرجل في القيام بفرائض وتكاليف العمل العام ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ وبدون هذا الإنصاف لاقيام للأسرة ، التي هي اللبنة الأولى والأساسية في بناء الأمة . . " فالأمة تتكون من البيوت ـ العائلات ـ ، فصلاحها صلاحها، ومن لم يكن له بيت لا تكون له أمة . .والرجل والمرأة يتماثلان في الحقوق والأعمال،كما أنهما يتماثلان في الذات والشعور، والعقل .

---

(١) الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني . ص ٤١٤ - ٤١٧ . دراسة وتحقيق: د محمد عمارة طبعة القاهرة ١٩٦٨م.

(٢) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) ج ٥، ص ١٩٤ . دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة - طبعة القاهرة ١٩٩٣م.

ثامناً: أبو الأعلى المودودي ـ رحمه الله ـ
(١٣٢١ـ١٣٩٩ هـ / ١٩٠٣ـ١٩٧٩ م)
وتأسيس الجماعة الإسلامية

في الوقت الذي كانت أوروبا الاستعمارية قد جعلت صدور المسلمين أغماداً لسيوفهم ، كان قطاع من الهنادكة في الهند ينتقدون الإسلام زاعمين أنه قد انتشر بالسيف ، وليس بالحجة ، والقدوة ، والمنطق ، والبرهان ! .

ويومها وجه الزعيم المسلم الهندي " محمد علي جواهر " نداءه إلى الشباب المسلم أن يردوا على هذا الاتهام والذي شارك فيه الزعيم الهندي " غاندي " ، واستجاب للنداء أبو الأعلى المودودي ـ رحمه الله ـ ؛ فكان طليعة تآليفه الإسلامية كتاب " الجهاد في الإسلام " ، الذي اكتمل ١٩٢٨ م ؛ ليكون استهلالاً لإحدى فصائل الصحوة الإسلامية في الهند وباكستان ، والتي قادها أبو الأعلى المودودي ـ رحمه الله ـ .

وقد أسس أبو الأعلى المودودي ـ رحمه الله ـ مع خمسة وسبعين رجلاً "الجماعة الإسلامية" ، واختاروه أميراً لها في ٣ شعبان ١٣٦٠ هـ / ٢٦ أغسطس ١٩٤١م . وتصدّت هذه الجماعة للواقع ؛ لتجديده وتغيّره [١] .

وبداية لابد من ملاحظ أن أبو الأعلى المودودي ـ رحمه الله ـ بدأ دوره في التجديد بإدراك طبيعة العصر وخصوصيته ؛ لذلك نجد أن تجديد هذا العالم الجليل في بعض اتجاهاته قد بدأ يتجاوز بيئته في الهند وباكستان ؛ ليشمل مختلف المجتمعات الإسلامية في العالم ، ووضحت معه معالم أشمل وأعم

---

(١) الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري . د/ محمد عمارة . دار الشروق . ط ١ ، ١٩٩٦ م .

لتجديد دين الأمة الإسلامية في مختلف بلاد الإسلام . وهو يؤكد على هذه الطبيعة الجديدة لتجديد دين الأمة الإسلامية في معظم ما كتبه ، فنجده يقول موجهًا حديثه لعموم المسلمين :

" فالمستعمر الغربي قد غلب المسلمين بالعدوان المادي والفكري على الدنيا وعلى الدين ؛ لقد احتلوا الأرض ، ونهبوا الثروة ، واستعبدوا البشر ، وفوق ذلك طاردوا الإسلام ؛ حتى طردوه من المؤسسات الإسلامية " مدرسة – محكمة – ديوانًا " ، وجعلوا شرائعهم هي الحاكمة في بلاد المسلمين بدلاً من شريعة الله ، وحرسوا ذلك الانقلاب بجيوشهم ، وبالذين تغربوا ممن ينتسبون إلى الإسلام ، وساعدهم على ذلك ما وجدوه في بلادنا التي تعيش جاهلية موروثة منذ قرون عديدة .... لقد فتحت الجاهلية الموروثة الباب للجاهلية الحديثة ، وأغرت الوحش بضعف الفريسة (١) .

ويقول المودودي ـ رحمه الله ـ : " فلابد أن نحلل مزيج الإسلام والأوضاع القديمة الغير إسلامية . . ثم نميز الأوضاع القديمة غير الإسلامية ، ونأخذ جوهر الإسلام الخالص والذي يثبت خلوصه ونقاءه إذا عرضناه على مقياس الكتاب والسُّنَّة . ولابد من انجاز ذلك مهما كانت مقاومة الذين لهم ولع شديد بجزء من أجزاء هذه الأوضاع القديمة .

ذلك هو السبيل لمواجهة الجاهلية الموروثة ، وتلك واحدة من مهام المجابهة والتصدي للتحدي الحضاري المفروض على الأمة الإسلامية " فكرة التغريب " الوافدة مع الغزو الاستعماري (٢) .

---

(١) واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص١٢٩ . أبو الأعلى المودودي . ترجمة محمد عاصم الحداد . الدار السعودية للنشر والتوزيع .

(٢) واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص ١٧٨، ١٧٩ أبو العلى المودودي . ترجمة محمد عاصم الحداد . ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

لقد كان التغريب هو الطامة الكبرى على المجتمعات الإسلامية ، والتي تصدي لها العالم الجليل أبو الأعلى المودودي ـ رحمه الله ـ والجماعة الإسلامية ، بل لقد كانت هذه الفكرية التغريبية هي التي استفزت الضمير المسلم في الهند ، فعلى قدر خطورة التحدي كان الرد الذي انبعث لمواجهته .

ونلاحظ هنا ترابط الفكر التجديدي في المجتمعات الإسلامية رغم اختلاف البيئة ، والظروف الداخلية ، وبعد المسافة بينها . مما يؤكد حقيقة أن تجديد دين الأمة الإسلامية بدأ يأخذ أبعاداً جديدة تناسب " عالميته " مع عالم بدأ يدخل حثيثًا في عولمة شاملة .

لقد أدرك الأستاذ المودودي ـ رحمه الله ـ في الهند ما أدركه الشيخ حسن البنا في مصر ، من أن الخطر الأعظم للغزوة الاستعمارية الغربية على بلاد الإسلام ماثل ومتمثل في الجانب الفكري والحضاري؛ فهو يثير دهشة وإعجاب الصفوة المثقفة، على حين يستفزها ويغضبها جانب الاحتلال العسكري والسيطرة السياسية ، والنهب الاقتصادي ، وهذا هو مكمن الخطورة الحقيقي على المجتمعات الإسلامية؛ حيث ترى الصفوة المثقفة المتغربة أن نهضتنا المنشودة وقوتنا المأمولة ، بل وانعتاقنا وتحررنا من الغرب هي في سلوك طريقه والتشبه به ، أي في التخلي عن موروثنا القديم ذي الصورة العاجزة الكريهة ـ كما يرون ـ واختيار الوافد الغربي الحديث ! .

لقد كان الحفاظ على القومية الإسلامية والذاتية المتميزة للحضارة الإسلامية هو المهمة العظمى لدعوة المودودي ـ رحمه الله ـ وحركته ، والبوصلة التي حددت اتجاهه في كل الميادين ، وكانت المبرر لتحالفاته ومعاداته .

كما كان الصراع ضد الهندوك على مقدرات المسلمين في الهند معركته الكبرى ، التي ارتبطت بها معظم المعارك الفرعية والجزئية التي خاضها على

مختلف الجبهات .

ولقد أجاد العالم الجليل أبو الأعلى المودودي ـ رحمه الله ـ عند تصديه لرفض النموذج الغربي ونقد الحضارة الغربية ، أو " الجاهلية الحديثة والمعاصرة " ـ كما كان يسميها أحيانًا ـ ، مع العلم أنه لم يكن صاحب موقف متعصب من الحضارة الغربية بكل جوانب إبداعها، ولم يكن ذا عقل مغلق على الاستفادة من إنجازاتها ذات الصبغة العلمية والعالمية ، التي لاتمثل خطرًا على الذاتية الحضارية للأمة الإسلامية .

وكان المودودي ـ رحمه الله ـ مصرًا على الاجتهاد مما أثار عليه العلماء التقليديين في عصره ـ في مجتمعه ـ الذين كانوا يقولون : " إننا نرى التقليد شيئًا لازمًا في هذا العصر ، ونرى أن شروط الاجتهاد ـ التي اشترطها السلف ـ مفقودة في علماء العصر" (١) .

[أ] فكره السياسي :

لقد صاغ المودودي ـ رحمه الله ـ فكره السياسي في إطار إسلامي جديد ، أفاض فيه الحديث عن :" القومية "، "والديمقراطية والحاكمية الإلهية "، ما بين ١٣٥٦- ١٣٦٠هـ / ١٩٣٧ ـ ١٩٤١ م .

القـــومـيـــة :

وفي هذه الفترة كانت الهند تغلي بالثورة الوطنية الديمقراطية ضد الاستعمار الإنجليزي ، وكان حزب المؤتمر الهندي يسعى للحصول على الاستقلال وإقامة

---

(١) المودودي .. ما له وما عليه .ص ٨٥ . محمد زكريا الكاندهلوي .

الهند الموحدة على أساس أن الهند تكون " قومية واحدة " ؛ لأنها وطن واحد ، ولقد تبنى حزب المؤتمر الهندي " العلمانية " باعتبارها الحل الأمثل في بلد تتعدد فيه الديانات .

لقد ضم حزب المؤتمر الوطنيين الهنود على اختلاف دياناتهم ، لأنهم اعتبروا " وحدة الوطن السياسية " أرضًا صالحة لقيام قومية سياسية واحدة .

ونجد المودودي ـ رحمه الله ـ ببعد نظره وبصيرته الإسلامية النافذة يدرك خطورة هذه الدعوة .

ثم يرصد بدقة أن هذا هو هدف الوطنين الهنود ؛ فيقول إن الخصائص الثلاث للحكومة الحرة التي يريدها الوطنيون الهنود هي :

أولاً : دولة وطنية ، أي " قومية " بمعنى الاعتراف بجميع مواطني الهند كأمة واحدة ، ورفض فكرة كونهم أممًا متعددة .

ثانيًا : دولة ديمقراطية ، بمعنى الاعتراف بأن جميع سكان الهند يمثلون مجموعة واحدة يطبق عليها مبدأ تحقيق الأغلبية .

ثالثًا : دولة علمانية ، بمعنى أن الدولة لا تعترف بأديان الأمم المختلفة بالهند .

ثم يستطرد المودودي ـ رحمه الله ـ فتساءل قائلا : " وعلينا الآن أن ندقق في نوعية هذه الدولة أساساً :

- هل يمكن لنا كمسلمين أن نجعل من مثل هذه الدولة هدفًا لنا ؟! .
- هل يمكننا أن نعيش بداخل هذه الدولة كمسلمين ؟! .
- هل يجوز لنا أن نساهم في الجهاد والنضال من أجل إقامة مثل هذه الدولة ؟! [١] .

---

(١) الأمة الإسلامية وقضية القومية . ص ٩٤ ، ٩٥ . أبو الأعلى المودودي . ترجمة سمير عبد الحميد إبراهيم .

ولقد كانت إجابة المودودي ـ رحمه الله ـ على هذه التساؤلات بالنفي .. النفي الذي وجه فيه وبه كل النقد إلى مثل هذه " الدولة القومية الديمقراطية العلمانية " والذي أسيئ تفسيره كثيراً في مجتمعنا العربي .

ويجب أن ندرك خصوصية هذا الموقف وارتباطه بالبيئة والظروف في الهند، وخطأ تعميم ذلك على الوطن العربي، فلقد كان عداء المودودي ـ رحمه الله ـ للقومية والديمقراطية مرتبطًا بالظرف الخاص الذي كان عليه المسلمون بالهند في ذلك التاريخ ، ولم يكن عداؤه للقومية والديمقراطية عداءَ مبدأ ؛ لتعارضهما مع مذهب الإسلام في بناء الدولة وسياسة الأمة .

فلقد كانت نسبة المسلمين في الهند إلى سكان عموم الهند في ذلك التاريخ هي نسبة الربع إلى الثلاثة أرباع ، وكان معنى " الدولة القومية الواحدة التي تحكمها الأغلبية وفقًا للديمقراطية " يعني :

✿ " حكم الهنادكة وتحكمهم الدائم في المسلمين ، بما وراء ذلك من إضرار بالمسلمين وبإسلامهم " .

وقد أعلن بوضوح أن الأغلبية " الهندوكية " ليست من نوع الأغلبية المألوفة في الدول الديمقراطية ـ الأغلبية المؤسسة على الرأي وعلى الفروع ـ ، والتي تتحول فيها الأقلية إلى أغلبية ، أو العكس ؛ ذلك لأن التمايز بين الهنادكة والمسلمين ليس في الفروع ، وإنما هو في الأصول الحضارية الثابتة ، ومن ثم فستظل الأغلبية أغلبية أبدًا ، وستظل الأقلية أقلية أبدًا .

وذلك يعني السيطرة الأبدية للهنادكة على المسلمين ، بما يعني ـ تبعًا لظروف الهند ـ من إضرار بإسلام هؤلاء المسلمين ، ومقوماتهم الحضارية الخاصة .

فالمودودي ـ رحمه الله ـ يميز هنا بين " القومية السياسية " القائمة على وحدة الوطن دون وحدة الحضارة ، وبين " القومية الحضارية " التي تؤلف بين جماعة

من البشر ـ أصولهم الحضارية واحدة ـ ؛ فيرفض الأولى لأنها هي التي تجمع كل سكان الهند ، والتسليم بها كأساس لبناء الدولة الديمقراطية ، الذي سيؤدي حتمًا إلى تحكم الأغلبية الهندوكية في المسلمين في الهند بصورة دائمة وأبدية .

وهو يحبذ الثانية ؛ لأن المسلمين في الهند بمقياسها قومية متميزة ، ومن ثم فلابد من ذاتية سياسية متميزة تمكنهم من الحفاظ على خصوصيتهم الحضارية وتنميتها .

فالعداء هنا للقومية التي ستسحق مقومات المسلمين الحضارية ، ولو كان الحال غير ذلك ، والهند قومية حضارية وثقافية واحدة ، أو لو أن المسلمين فيها أغلبية لما عارض المودودي ـ رحمه الله ـ القومية [١] .

ثم طرح المودودي ـ رحمه الله ـ تصوراته حول نظام الحكم المشترك الذي يمكن أن يتحقق داخل الهند بطريقة سلمية بعد استقلالها ويقبله المسلمون ، وهذه التصورات هي :

[١] الاتحاد الفيدرالي .

[٢] تميز القوميات في مناطق محددة جغرافية ، مع إحداث إبدال سكاني خلال ربع قرن أو أكثر ، يصحبه تزايد استقلال الدول ، وتقليل صلاحيات المركز .

[٣] انفصال الولايات الإسلامية واستقلالها واتحادها ، وكذلك الولايات الهندوكية مع إقامة تحالف وتعاون بينها . وهي تصورات مؤسسة كلها على المعيار القومي .

ولقد تحقق الحلم ، وأصبح واقعًا في قيام وطن مستقل لمسلمي الهند

---

(١) الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري . ص ١١٨ د/ محمد عمارة . دار الشروق . ط ١ / ١٩٩٦ م .

"باكستان" ، وقد كان المودودي -رحمه الله- يسميها " بيت الإسلام " ، ولقد قامت باكستان ١١ شوال ١٣٦٦ هـ / ٢٨ اغسطس ١٩٤٧ م .

وكما هو واضح ، فالفكرة التي طرحها المودودي -رحمه الله- وموقفه من القومية خاص بهذا المجتمع المسلم في هذه الفترة في الهند .

لذا كان وقوع بعض الصفوة من المسلمين في المجتمع العربي في خطأ كبير عندما أخذوا موقف العالم الجليل أبو الأعلى المودودي -رحمه الله- ورفضه للقومية في الهند ، ثم محاولتهم تطبيقه في المجتمعات العربية ، التي يصل نسبة المسلمين بين سكانها قرابة الـ ٩٥ ٪ من مجمل السكان ، وهم عرب عدا أقلية لاتكاد تذكر .

ويجب الانتباه إلى ضرورة ، بل وحتمية تبني كافة القوميات الإسلامية في العالم الإسلامي للعروبة واللغة العربية في أمر تجديد دين الأمة الإسلامية في هذه المرحلة من عمر البشرية ، وهو أمر لامفرّ منه للمسلمين في ظل فهم صحيح للعروبة ؛ ولحاجة المسلمين للغة العربية ، كما نص على ذلك القرآن الكريم في آيات كثيرة .قال تعالى :

- ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [يوسف : ٢].
- ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣] .
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [طه : ١١٣] .

وكما وضحه الرسول الكريم - ﷺ - عندما قال :

" .. أيها الناس ، فإن الرب واحد ، والأب واحد ، والدين واحد ، وإن العربية ليست لأحدكم بأب ولا بأم ، إنما هي لسان . فمن تكلم

بالعربية فهو عربي ..... " [١] .

[ب] الديمقراطية والحاكمية الإلهية :

وكان موقف المودودي ـ رحمه الله ـ هنا يمثل رؤية إسلامية جديدة ، وفكر تجديدي تجاوز به حدود بيئته ومجتمعه في الهند وباكستان ليشمل كافة المسلمين في العالم الإسلامي ، والتي تناولها البعض ـ قصداً أو دون قصد ـ لتشويه صورة الإسلام والمسلمين . ومما يؤسف له وقوع غالبية من المثقفين العرب والمسلمين وعامتهم في هذا الفهم الخاطئ ، وشيوع هذا الخلط في المفاهيم حول الديمقراطية في المجتمعات العربية والإسلامية . مما يحتاج إلى إجلاء الغموض وتوضيح المفاهيم حول الديمقراطية .

نعم قال أبو الأعلى المودودي ـ رحمه الله ـ : بأن الحاكمية لله ، وقال إن وضعية الدولة الإسلامية أنها ليست دولة ديمقراطية ، فإن الديمقراطية عبارة عن منهاج للحكم تكون السلطة فيه للشعب جميعًا .. وهي ليست من الإسلام في شيء ، فلا يصح إطلاق كلمة الديمقراطية على نظام الدولة الإسلامية ... [٢] .

نعم ، لقد قال عالمنا الجليل هذا ومثله كثير ، ولكن علينا هنا أن نحدد معاني المصطلحات بدقة حتى لايحدث خلل في الفهم .

ومصطلح الديمقراطية ـ كما نعلم جميعًا ـ هو مصطلح غربي ، وعندما يطلقه الغرب أو غيرهم من غير المسلمين يعني " حاكمية الجماهير " ، وسيادتها المطلقة

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١ / ٤٦٠ . أحمد بن عبد الحليم بن تيمية . الرياض : دار العاصمة . ط ١ / ١٩٩٨م . درجة الحديث ضعيف ، لكن معناه ليس ببعيد بل هو صحيح من بعض الوجوه ، ورواه بلفظ مختصر ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة ج ٩٢٦ . الرياض : مكتبة المعارف . ط ٢ . ٢٠٠ م . ودرجته ضعيف جداً ، وبلفظ مختلف في تهذيب تاريخ ابن عساكر . جـ٢ ص ١٩٨ . طبعة دمشق .

(٢) نظرية الإسلام السياسي . ص ٣٣ ، ٣٤ . أبو الأعلى المودودي . جدة : الدار السعودية . ط١ . ١٩٨٥ م .

من كل قيد سوى ما تصنعه الجماهير لنفسها . وهو ما قاله المودودي ـ رحمه الله ـ وكان يقصده بكل وضوح عندما رفض الديمقراطية (١) .

فمعنى الحاكمية عنده وعند كافة المسلمين يعني السلطة المطلقة .. وهي لاتطلق إلا على الـ " فعال لما يريد " ، والذي لا يُسأل عما يفعل (٢) .

والآن نكتفي بأن نسأل : هل يدّعي مسلم مهما بلغ إيمانه بالديمقراطية أن الجماهير يجب أن تكون في ديمقراطيتنا مطلقة السلطة، فلا تسأل عما تفعل ؟ وتفعل ما تريد ؟ حتى لو أحلت الحرام ، وحرمت الحلال الثابت دلالةً وورودًا عن الله سبحانه وتعالى ؟! .

أم أن سلطة الجماهير وسلطان الأمة وسلطاتها يجب أن تقيد بما قطع فيه الله بالتشريع ؟ فهي حرة داخل الإطار الإلهي .

إذًا هناك فرق كبير يجب أن ندركه عند استخدام المصطلحات ، وهو ما فصّله عالمنا الجليل . فالمرجعية في الديمقراطية الغربية في سن القوانين والتشريعات هي الجماهير فقط ـ الأغلبية ـ ، وما ترتضيه تلك الجماهير فلا قيد ديني ، أو غيره طالما وافقت الجماهير ـ الأغلبية ـ عليه حتى ولو سنت قوانين تسمح بممارسة الشذوذ الجنسي ، أو زواج المثلين أو..... إلخ هذه هي الديمقراطية التي يرفضها الإسلام .

ثم يوضح لنا المودودي ـ رحمه الله ـ الحرية والديمقراطية التي يقبلها الإسلام فيقول : " إن مجالس الشورى أو البرلمانات لايباح لها أن تسن نظامًا أو تصدر حكمًا فيما ورد فيه نص صريح واضح في شريعة الله .. أما ما لم يرد فيه نص

---

(١) الإسلام والمدنية الحديثة . ص ٣٦ ، ٣٧ . أبو الأعلى المودودي . الرياض : الدار السعودية . ط ٩ . ١٩٨٧ م .

(٢) تدوين الدستور الإسلامي . ص ٢٥١، ٢٥٣ . أبو الأعلى المودودي . ترجمة عاصم الحداد . الرياض : الدار السعودية . ط٢ / ١٩٨٧م .

شرعي – وهو المجال الأوسع – فلأهل الحل والعقد أن يجتهدوا في سَنّ الأنظمة التي تحقق مصلحة الأمة بالمشورة المتبادلة .. على أن تكون منسجمة مع الإطار العام لأسس الشريعة ولاتخالفها [١] .

وبعد أن أوضح موقف الإسلام ، والذي لاخلاف عليه بين كافة المسلمين وهو " نفي الحاكمية البشرية المطلقة " في الإسلام لفرد ، أو طبقة ، أو كهنة ، أو جماعة ... إلخ ، تحدث عن خلافة الإنسان ونيابته عن الله ، فالأمة نائبة عن الله ، وهي تنتخب حاكمها ونوابها وأهل الحل والعقد فيها بطريقة ديمقراطية ، الأمر الذي يجعل الخلافة الإسلامية "ديمقراطية" على العكس من القيصرية أو البابوية .

ويستطرد قائلاً : " .. إن ديمقرطيتنا الإسلامية هي كديمقراطية الغرب لاتتالف فيها الحكومة ، ولا تتغير إلا بالرأي العام ، ولكن الفرق بيننا وبينهم : أنهم يحسبون ديمقراطيتهم حرة مطلقة العنان ، ونحن نعتقد الخلافة الديمقراطية، متقيدة بقانون الله ـ عز وجل ـ [٢] .

ولذلك نجده يقول بصراحة ووضوح : " إنه لا يمكن لأي عاقل أن يعارض الديمقراطية ، ولايمكنه القول بأنه يجب أن يكون هناك حاكم ملكي ، أو أرستقراطي ، أو أي نوع آخر من أنواع الحكم ... " [٣] .

والأمر قد وضح الآن ، ولا خلاف بين كافة المسلمين علي ذلك ، ولكن لكي تتحقق الفائدة يجب علينا أن ننشر مثل هذه المفاهيم بين خاصة المسلمين وعامتهم ، فلم تعد هذه الأمور خاصة بالمثقفين أو بطبقة المتعلمين ، بل أصبحت من أمور عامة الناس ، تقذف بها وسائل الإعلام ليل نهار ، وتقتحم بها البيوت

---

(١) الإسلام والمدنية الحديثة . ص ٤٠ .أبو الأعلى المودودي . الرياض : الدار السعودية . ط ٩ . ١٩٨٧ م .

(٢) تدوين الدستور . ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ . أبو الأعلى المودودي. ترجمة عاصم الحداد . الرياض : الدار السعودية . ط٢ ، ١٩٨٧ م .

(٣) المسلمون والصراع السياسي . ص ١٠٨ . أبو الأعلى المودودي .

والأندية ومختلف التجمعات البشرية ، والتي يحدث عدم وضوحها لدي المسلمين وعدم تثقيفهم بها الكثير من الخلل والخلاف .

وهكذا ، اتضح لدينا فكر الجماعة الإسلامية في "الهند وباكستان" ، والذي مثّل المجابهة الإسلامية للتحدي الحضاري الذي فرض على المسلمين في الهند ، ولقد اقتضت هذه المهمة الحضارية التاريخية مهمة – البعث الإسلامي الجديد – في هذه البيئة ، وتلك الظروف التي تمر بها البلاد ، اقتضت " كتيبة مناضلة " ؛ لتحقيق الإنقلاب الإسلامي ، وبالثورة الإسلامية القادرة على مواجهة التحدي في كل ميادينه ، ولم يكن المطلوب مجرد " حلقة إسلامية " تلتف حول مجتهد جديد .

فالجماعة الإسلامية وليس المجتهد الفرد ولا الأفراد الذين ينقصهم التنظيم هي السبيل الوحيد لحمل هذه الأمانة الكبرى ، بل قد رآها المودودي ـ رحمه الله ـ السبيل لتحقيق فكرة خلافة الإنسان عن الله في الأرض [١] .

وتميز أسلوب الجماعة الإسلامية لتحقيق البعث الإسلامي في هذه البيئة ، وتلك الظروف في مرحلتين :

[١] المرحلة المبكرة :

والتي كان داعيًا فيها للثورة ، وهي مرحلة المواجهة مع الإنجليز والهنادكة . وكان يدعو فيها إلى خلق العقلية الثورية والفكر الثوري ، وإن يكن بالتدرج ، وكان يوضح عدم جدوى التدابير القانونية في الإصلاح خلال هذه المرحلة . إذ لابد من الأسلوب الثوري ، وذلك نتيجة لما وصلت إليه الظروف .

---

(١) الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية . ص ٤٠ . أبو الأعلى المودودي . بيروت : مؤسسة الرسالة . ط١ . ١٩٨٠ م .

المرحلـــة الأخيـــرة :

وهي مرحلة ما بعد قيام باكستان ، وهي المرحلة التي استقلت فيها القومية الإسلامية . وكان يقول فيها : " إن التغيير ليس له من سبيل في نظام ديمقراطي إلا الخوض في معارك الانتخابات ؛ وذلك بأن نربي الرأي العام في البلاد ، ونغير مقياس الناس لممثليهم ، ونصلح طرق الانتخابات ، ونطهرها من اللصوصية والغش والتزوير ، ثم نسلم مقاليد الحكم إلى رجال صالحين يحبون أن ينهضوا بنظام البلاد على أسس الإسلام الخالص ... " (١) .

وكان هذا هو النهج الإصلاحي الذي تحول إليه المودودي في مرحلته الأخيرة . وبعد قيام باكستان طالب بتشكيل النظام الباكستاني طبقًا للقانون الإسلامي ، ورغم تكرر اعتقاله إلا أن نضاله هو والجماعة الإسلامية ظل مستمرًا من أجل باكستان ، ومن أجل البعث الإسلامي إلى آخر حياته .

وكان نموذجًا للداعية المجتهد ، تخطى فكره التجديدي حدود القومية ، ونطاق المكان ، وانتقل إلى جوار ربه في آخر شوال ١٣٩٩ هـ / ٢٢ سبتمبر ١٩٧٩ م . وقد ترك فكرًا ، وترك ثروة من مؤلفاته بلغت سبعين كتابًا ورسالة .

(١) موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه ، وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم . أبو الاعلى المودودي . الدار السعودية للنشر والتوزيع .

تاسعاً : الشيخ حسن البنا ـ رحمه الله ـ

(١٩٠٦ ـ ١٩٤٩ م)

جماعة الإخوان المسلمين

(١٣٤٧ هـ / ١٩٢٩ م)

كان الوطن العربي والعالم الإسلامي يعيش في حالة من التردي شملت جميع جوانب حياته ، وانتهى إلى مأزق تاريخي بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى (١٣٢٢ ـ ١٣٣٧هـ / ١٩١٤ ـ ١٩١٨ م) ، فقد سقط الوطن العربي بأكمله تقريباً تحت الاحتلال الاستعماري الغربي ، وسقطت الخلافة العثمانية على يد العلمانية التركية بزعامة كمال أتاتورك سنة (١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤م) .

وعلا صوت التغريب في العالمين العربي والإسلامي ، وانتشر خطره . ووضحت مخاطر العلمانية على شمولية الإسلام ، وأوشك العالم الإسلامي والعالم العربي أن يتحول إلى هامش للحضارة الغربية بعد أن تحول إلى هامش لاقتصاد الغرب وأمنه .

ونجد في (١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥م) الشيخ الأزهري المصري علي عبد االرازق ينشر كتابه "الإسلام وأصول الحكم" ويزعم فيه – لأول مرة في تاريخ الإسلام – أن الإسلام دين لادولة ، وكأنه ينظر بهذا الكتاب لسقوط الخلافة الإسلامية العثمانية عندما ينفي عن نظامها أية علاقة بالإسلام الدين ! .

وكان وقع الكتاب كالصاعقة على العقل المسلم ، فلم يقل أحد بذلك من قبله ، ولا حتى المستشرقين أو أعداء الإسلام .

وفي سنة (١٣٤٤ هـ / ١٣٢٦ م) ينشر د. طه حسين كتابه "في الشعر

الجاهلي" ، والذي استخدم فيه "الشك الديكارتي للتشكيك" في الشعر الجاهلي ، ثم تجاوز نطاق الشعر ، وشكك في بعض قصص القرآن الكريم من أمثال قصة "إبراهيم الخليل عليه السلام" .

وبدت المواجهة ضد الإسلام تأخذ طابعًا جديدًا في العصر الحديث ، فهي موجهة للدين الإسلامي كعقيدة وتشريع تحاول تهميشه وتذويب الهوية الإسلامية ، وتمسخ الشخصية الحضارية والقومية ، وفي هذا المنعطف التاريخي عاد القانون القديم ليفعل فعله من جديد ، فتطلعت الأمة بالفطرة والوعي معًا إلى حصنها العتيد ـ الإسلام ـ ، وكان أن أبرز وتعاظم تيار الصحوة الإسلامية الذي تبلور هذه المرة منظمًا ـ جماهيريًا ـ . والذي بدأ بتأسيس الشيخ الإمام " حسن البنا " لجماعة الإخوان المسلمين ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٩ م .

وقد أخذت حركة الإخوان المسلمين بكل وضوح طبيعة العصر الحديث ؛ فكانت حركة تجديد لدين الأمة شملت العالم العربي ، والعالم الإسلامي على امتداده .

وقد تصدت الحركة للتحدي الاستعماري سياسيًا ، وعسكريًا ، واقتصاديًا ، ولكن كان التحدي الرئيسي لها يتمثل في الخطر الحضاري الأوروبي المادي ، والذي يمثل خطرًا داهمًا على الإنسان بصفة عامة

[أ] حسن البنا ـ رحمه الله ـ وأبعاد جديدة لمفهوم التجديد :

إن الرؤية التي يصدر عنها فكر واجتهاد الإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ تمثل بداية حقيقية وواضحة ومباشرة ؛ لدخول معنى تجديد دين الأمة الإسلامية مرحلة جديدة ـ هي مرحلة التطبيق لعالمية الدعوة الإسلامية ـ .

فالإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ يتناول في رسائله بوضوح وبطريقة مباشرة

حال الأمة العربية والعالم الإسلامي .

فلقد أدرك ببصيرته النافذة أن مشاكل الإسلام والمسلمين في العالم خلال هذه المرحلة التاريخية من عمر البشرية قد أصبحت في معظمها واحدة ، وأدرك أن اختلاف البيئات وتميزها في المجتمعات الإسلامية في طريقه للذوبان ، وكذلك أصبحت الأخطار التي يواجهها الإسلام والمسلمون على تباعدهم ، واختلاف مشاربهم أصبحت واحدة ، فالمشاكل والتحديات لم تعد خاصة بالمجتمع المصري ، أو حتى بالمجتمع العربي، بل أصبحت تشمل أمة الإسلام ، وهو ما يعني أن مشروع اليقظة العربية الإسلامية بدأ يتوحد في العالم الإسلامي ، وبالتالي فجبهة المواجهة الإسلامية هي في طريقها للتوحد مهما كانت الصعوبات، ومهما كانت التضحيات .

وقد تميزت دعوة الإخوان المسلمين بمرونة ، وشمولية ، وتوفيقية ، وهي مرونة تجمع المسلمين ولا تفرق ، تخاطب المسلم أينما وجد . وأفضل السبل لتوضيح دعوة الإخوان المسلمين التجديدية هي عرض رؤية رائدها وباعثها في العالم الإسلامي .

يقول الإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ عن دعوة الإخوان المسلمين :

" دعوة سلفية ، وطريقة سُنِّية ، وحقيقة صوفية ، وهيئة سياسية ، وجماعة رياضية ، ورابطة علمية وثقافية ، وشركة اقتصادية ، وفكرة اجتماعية [١] .

وبدأت فكرة التجديد للإسلام في إطار عالميته ، وفي ظل العولمة تنبت بذورها في فكر الإمام حسن البنا في مرحلة مبكرة ؛ فالإسلام يعتبر المسلمين جميعًا أمة واحدة ، ويعتبر الوطن الإسلامي وطنًا واحدًا . .

---

(١) رسائل المؤتمر الخامس . ص ١٥٤ ، ١٥٥ . حسن البنا مجموعة الرسائل . تحميل من الإنترنت .

ولايتنكر للوطنية ولا القومية.. بل يرى الجامعة الإسلامية ثمرة تلي القومية ، التي تلي هي الأخرى دائرة الوطن الذي نشأ المسلم فيه !.

فقط الإسلام ينكر ويستنكر القومية إذا عنت العصبية الجنسية والفخر الكاذب .. أما إذ عنت الاعتزاز بالمزايا والتاريخ فهي مما تحتاج إليه الأمم الناهضة عندما تواجه التحديات التي تحول بينها وبين النهوض ! .

ونجده يعبر عن ذلك بكل وضوح ويعيد طرحه على المسلمين جميعًا عندما يقول : " .. فما يشهده العالم من بعث وطني ، ووحدات قومية ، واتحادات إقليمية ، وتنظيمات دولية ، هي خطوات على الطريق إلى العالمية المنشودة .. فهذه العالمية أو الإنسانية هي هدفنا الأسمى ، وغايتنا العظمى ، وختام الحلقات في سلسلة الإصلاح ، والدنيا صائرة إلى ذلك لامحالة ، فهذا التجمع في الأمم ، والتكتل في الأجناس والشعوب ، وتداخل الضعفاء بعضهم في بعض ليكتسبوا بهذا التداخل قوة ، وانضمام المفترقين ، ليجدوا في هذا الانضمام أنس ووحدة . كل ذلك ممهد لسيادة الفكرة العالمية ، وحلولها محل الفكرة الشعوبية القومية التي آمن بها الناس من قبل . وكان لابد أن يؤمنوا هذا الإيمان لتتجمع الخلايا الأصلية ، ثم كان لابد أن يتخلوا عنها لتتآلف المجموعات الكبيرة ؛ ولتتحقق بهذا التآلف الوحدة الأخيرة ، وهي خطوات إن أبطأها الزمن فلابد أن تكون ، وحسبنا أن نتخذ منها هدفًا ، وأن نضعها نصب أعيننا مثلاً ، وأن نقيم في هذا البناء الإنساني لبنة ، وليس علينا أن يتم البناء ، فلكل أجل كتاب [١] .

ولم يستوعب بعض الإخوان طبيعة الفكر التجديدي لعالمية الإسلام كما أدركه المرشد العام ، ومؤسس الجماعة الشيخ حسن البنا ، والذي جمع فيه بين

---

(١) دعوتنا في طور جديد . ص ١١٤ . مجموعة الرسائل . حسن البنا . تحميل من شبكة الإنترنت .

القومية ، والوطنية ، والجامعة الإسلامية ، والإنسانية ؛ حيث علقوا وقتها على الهامش بعد نشر رسالة المؤتمر الخامس مانصه :

" تصور بعض دعاة الإسلام إبان ظهور الدعوات الوطنية والقومية إمكان التقائهما مع الإسلام ، وهذا خطأ واضح ، وأثبت التطبيق العملي أن الإسلام ، وهذه الدعوات لايمكن أن يلتقيا بحال ؛ لأن الإسلام دين رباني إنساني عالمي ، بينما هذه الدعوات بشرية أرضية عنصرية [١] ، ولقد ثبت خطأهم ، وصدق حدس الإمام حسن البنا ،وصدقت رؤيته .

وأعتقد أن هؤلاء الإخوان قد وقعوا في هذا الفهم الخاطيء لفكر الإمام حسن البنا ؛ لفهمهم الخاطيء أيضًا لحقيقة رفض الشيخ " أبو الأعلى المودودي " فكرة القومية في الهند قبل قيام دولة باكستان – وقد علقنا عليها من قبل في عرضنا لأبي الأعلى المودودي - رحمه الله - .

ويقول الإمام حسن البنا موضحًا تجمع المسلمين جميعًا حول خصوصية التعاليم الإسلامية ، وتعارضها مع تيار التغريب في العالم الإسلامي :

" من الأسباب التي دعت بعض الأمم الشرقية إلى الانحراف عن الإسلام ، واختيار تقليد الغرب ، دراسة قادتها للنهضة الغربية ، واقتناعهم بأنها لم تقم إلا على تحطيم الدين ، وهدم الكنائس ، والتخلص من السلطة البابوية ، وإلجام القساوسة ورجال الكهنوت ، والقضاء على كل مظاهر السلطة الدينية في الأمة ، وفصل الدين عن سياسة الدولة العامة فصلاً تامًا . وذلك إن صح في الأمم الغربية فلا يصح في الأمم الإسلامية ؛ لأن طبيعة التعاليم الإسلامية غير طبيعة تعاليم أي دين آخر ، وسلطة رجال الدين محصورة محدودة لاتملك تغيير الأوضاع ، ولا

---

(١) رسالة المؤتمر الخامس .ص ٥٤ . طبعة دار الاعتصام القاهرة ١٩٧٧م.

قلب النظم ، مما جعل القواعد الأساسية في الإسلام على مر القرون تساير العصور ، وتدعو إلى الرقي ، وتعضد العلم ، وتحمي العلماء ، فما كان هناك لايصح هنا" (١) .

وحتى لايفهم البعض خطأ أن رفض الشيخ حسن البنا ـ رحمه الله ـ للتغريب في العالم الإسلامي يصدر عن رفض للحضارة والتقدم ، أو عن رغبة في العودة إلى العصور القديمة ، والتخلف الحضاري كما يدعي البعض دون علم .

فنجد الإمام يوضح موقفه بوضوح فيقول :

" .. أمام الهجمة التغريبية احتاج الأمر كذلك إلى التفرقة بين " التفاعل الحضاري "، و " الاستفادة " التي ينهض بها السليم الراشد ، وبين التقليد والتبعية.... فالإسلام لا يأبى أن نقتبس النافع،وأن نأخذ الحكمة أنى وجدناها ، ولكن يأبى كل الإباء أن نتشبه في كل شيء بمن ليسوا من دين الله على شيء ، وأن نطرح عقائده ، وفرائضه ، وحدوده ، وأحكامه ؛ لنجري وراء قوم فتنتهم الدنيا ، واستهوتهم الشياطين (٢) .

ولم تقف دعوة الإخوان المسلمين عند مواجهة تيار التغريب فقط ، بل اتجهت لمعالجة الواقع الفكري ، والسلوك ، والتصورات ، والتي كانت تمثل تخلفًا ، وانحرافًا عن الجادة الإسلامية . وكان هدفًا تواجهه دعوة الإخوان المسلمين ، وتسعى لتغييره بالتجديد الديني،وبإعادة الأمة الإسلامية إلى إسلامها الصحيح ، إيماناً بأن تجديد دنيا المسلمين إنما هو رهن بتجديد دينهم .

---

(١) نحو النور . مجموعة الرسائل ص ٧١-٧٣ . حسن البنا . تحميل من شبكة الإنترنت .

(٢) الإخوان المسلمين تحت راية القرآن ص ٩٨ . مجموعة الرسائل .حسن البنا . تحميل من شبكة الإنترنت .

يقول الإمام ـ رحمه الله ـ :

"فالإخوان .... دعوة من الدعوات التجديدية لحياة الأمم والشعوب" (١) .

" وهذا النهج التجديدي لم يكن مجرد " تجديد فكري " ترقى به أذهان الصفوة أو النخبة ، وإنما كان تجديد حياة الأمم والشعوب . فالإخوان دعوة تتوجه إلى الجماهير والعامة ، تبغي خلق الفرد المسلم .. والأسرة المسلمة .. والأمم المسلمة .. انطلاقًا من العقيدة الإسلامية ، والحركة التي تضع هذه العقيدة في الممارسة والتطبيق ... " .

وكان فهم الإمام الشهيد حسن البنا لتجديد الدين فهمًا عميقًا ، وهو الفهم السائد عند كل المجدّدين على مر العصور الإسلامية .

يقول الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ :

يعتقد الإخوان أن أساس التعاليم الإسلامية ، ومعينها هو كتاب الله تبارك وتعالى وسُنَّة رسوله ـ ﷺ ـ ..وأن كثيرًا من الآراء والعلوم التي اتصلت بالإسلام، وتلونت بلونه تحمل لون العصور التي أوجدتها ، والشعوب التي عاصرتها ؛ ولهذ يجب أن تستقي النظم الإسلامية التي تحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافي معين السهولة الأولى ،وأن نفهم الإسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ ، وأن نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لانقيد أنفسنا بغير ما قيدنا به الله ، ولا نلزم عصرنا لون عصر لايتفق معه ، والإسلام دين البشرية جمعاء " .

وقد أدرك الإخوان المسلمين بفكر الإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ بكل وضوح أن تجديد الدين الإسلامي في هذه المرحلة أعم وأشمل في حياة قطاعات متباعدة

---

(١) دعوتنا في طور جديد .ص ١١٤ . مجموعة الرسائل . حسن البنا . تحميل من شبكة الإنترنت

من المسلمين ؛ حيث بدأت الحواجز الجغرافية في السقوط ، وقصرت المسافات ، ووضح لهم أن مهمة المجدّد هنا لن تكون مجرد مباشرة تجديد الاجتهاد الفقهي والأحكام الإسلامية التي قد يختلف حولها المسلمون ، وأنها لاتنحصر في دولة ما أو حتى في كل المجتمع العربي، بل مهمة التجديد تنبع أولاً من خلق جماعات إسلامية داخل أوطانها على مستوى العالم كله تلتزم بالدين الإسلامي ، وتحقق لنفسها القوة الفعلية في مجتمعاتها ، وتكون نموذجًا إسلاميًا يحتذى ، ثم في حلقة أوسع يمكن أن تنضم تلك الجماعات المنتشرة على امتداد العالم العربي والإسلامي ، بل والعالم كله ، ووقتها سيتحول تلقائيًا ، وأثناء ذلك مباشرة تجديد الدين في الفقه والسياسة والسلوك الإسلامي والاجتماعي ... إلخ على مستوى المسلمين حول العالم . وهذه هي خطوة الجماعة في تجديد دين الأمة الإسلامية ، وتطبيق عالمية الدعوة الإسلامية – خلال هذه المرحلة الحاسمة من عمر البشرية – ، والتي تحرص عليها كل الحرص ، وكما قال الشيخ حسن البنا : ليس علينا أن نتم البناء ولكن علينا أن نضع فيه لبنة ؛ لذا كانت دعوة الإخوان المسلمين في البداية لتثقيف المسلم بالثقافة والسلوك الإسلامي الصحيح ، وإظهار الأخطار الحقيقية التي يواجهها الإسلام وكيفية مقاومتها ، ثم الدعوة للتحرير الكامل لاقتصاديات الأمة من قبضة السيطرة والاستغلال الاستعماري ، والدعوة لإقامة بناء لاقتصاد وطني وقومي مستقل ، ثم الدعوة لإقامة الروابط بين أجزاء العالم العربي والأمة الإسلامية ؛ لإقامة التكتل الاقتصادي الذي يدعم امكانيات المستضعفين في صراعهم الاقتصادي ضد سيطرة المستعمرين الأغنياء الأقوياء .

يقول الإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ :

" لقد جاء الإسلام للناس فكرة سامية تحدد الأهداف العليا ، وتضع القواعد الأساسية ، وتتناول المسائل الكلية ، ولا تتورط في الجزئيات ، وتدع بعد ذلك

للحوادث الاجتماعية والتطورات الحيوية أن تفعل فعلها ، وتتسع لها جميعًا ، ولا تصطدم بشئ منها .. " (١) .

[ب] تجربة رائدة للنهوض بالمرأة :

ولقد أدرك الشيخ حسن البنا ـ رحمه الله ـ منذ البداية أهمية الطاقات الاجتماعية الهائلة للنساء إذا ما تم اجتذابهن إلى جانب الحركة ، وقد تجلّى ذلك بوضوح في حرصه على إنشاء " مدرسة الأخوات المسلمات " ، ولم تقتصر على تقديم التعليم العام للفتيات ، وإنما اهتمت إلى جانب ذلك بتربية هؤلاء الفتيات على القيم والمُثل والأخلاق الإسلامية والتربية الدينية والرياضية (٢) .

[ج]صلة حسن البنا ـ رحمه الله ـ بفلسطين ودور جماعة الإخوان المسلمين:

وكانت صلة حسن البنا ـ رحمه الله ـ بفلسطين منذ فترة مبكرة، فقد كان على صلة وثيقة بالحاج أمين الحسيني عندما كان طالبًا في القاهرة . وكان غالبية الناس في مصر في ذلك الوقت يجهلون أن هناك بلداً اسمه فلسطين ، وأنه بجوارهم ، وهو أقرب إلى القاهرة من أسوان ؛ فشرع الإمام يرسل شباب الإخوان في مساجد القاهرة ، والمحافظات يحدّثون الناس عن ظلم الإنجليز وبطشهم وتآمرهم على أهل فلسطين، ثم دعا إلى مقاطعة المجلات اليهودية في القاهرة ، وطبع قائمة كشوف بأسماء هذه المجلات وعناوينها،والأسماء الحقيقية لأصحابها ، وذيلت الكشوف بعبارة : " إن القرش الذي تدفعه لمجلة من هذه المجلات إنما تضعه في جيب يهود فلسطين ليشتروا به سلاحاً يقتلون به إخوانك المسلمين في فلسطين" .

❁ ووجه الدعوة لرجالات البلاد العربية لعقد أول مؤتمر عربي من أجل نصرة فلسطين .

---

(١) مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي . ص ٩٩ . حسن البنا مجموعة الرسائل . تحميل من شبكة الإنترنت .
(٢) اسلام اون لاين حدث في العام الهجري . شخصيات . شبكة الإنترنت .

✿ وساهم في تنشيط جمع التبرعات للفلسطينين ، ومن الوسائل البديعة التي ابتكرها في هذا المجال : إصدار طابع بقيمة قرش وتوزيعه على الناس .

✿ أرسل شباب الإخوان المسلمين من مصر إلى فلسطين في بداية الثلاثينيات، وعملوا مع المجاهد عز الدين القسام ، وأبلوا بلاءً حسنًا ، وقد بلغ عدد المجاهدين من حركة الإخوان المسلمين في فلسطين تحت قيادة القوات العربية عشرة آلاف مجاهد .

وبعد هزيمة القوات العربية في فلسطين ، وقصة الأسلحة الفاسدة ، والتآمر الدولي على فلسطين ، قال الإمام الشهيد حينها :

" إن الطريق طويل والمعركة الكبرى ـ معركة الإسلام ـ التي ربينا لها هذا الشباب لا تزال أمامه ، أما إسرائيل فستقوم وستظل قائمة إلى أن يبطلها الإسلام " (١) .

وقد شاركت الجماعة في العمل المسلح ـ بعد الإمام حسن البنا ـ ضد الإنجليز في مصر سنة ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ م .

[د] سُبل التغيير عند الإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ :

ومع إدراك الشيخ حسن البنا ـ رحمه الله ـ لخطرالتحدي وخطر الغاية وشرفها ، فقد اعتمد " سياسة المراحل في الإعداد والتنفيذ " ، وبدون إدراك هذه الحقيقة يستحيل تفسير الكثير من مواقف الإخوان غير الواضحة ، وغير الحاسمة في بعض الفترات ، وبعض الممارسات .

وقد أدرك حسن البنا ـ رحمه الله ـ أن القوة ضرورة ولابد من الإعداد لها ، والاستعداد لها ، واستخدامها في الوصول إلى هذا الهدف العظيم ، وهو لم

---

(١) بوابة فلسطين – شخصيات مؤثرة في القضية الفلسطينية. شبكة الإنترنت .

يخدع أحداً .. ولم يفاجيء أحداً بل كان واضحًا في هذا الأمر كل الوضوح .

ولنقرأ له هذه االسطور :

❁ " يتساءل كثير من الناس : هل في عزم الإخوان المسلمين أن يستخدموا القوة في أغراضهم ، والوصول إلى غايتهم ؟ .

❁ وهل يفكر الإخوان المسلمون في إعداد ثورة عارمة على النظام السياسي أو النظام الاجتماعي في مصر ؟ .

❁ أم القوة فشعار الإسلام في كل نظمه وتشريعاته .. فالإخوان لابد أن يكونوا أقوياء ، ولابد أن يعملوا في قوة .. وأول درجات القوة قوة العقيدة والإيمان ، ويلي ذلك قوة الوحدة والارتباط ، ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح .. والثورة أعنف مظاهر القوة .. إن الإخوان سيستخدمون القوة العملية حيث لايجدي غيرها ، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة .. أما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها .. وإن كانوا يصارحون بأن الحال إذا دامت على هذا المنوال .. فسيؤدي حتمًا إلى ثورة ... إني أرى الوميض خلال الرماد ، ويوشك أن يكون له ضرام ...

أيها الإخوان : .. إن قيل لكم : أنتم دعاة ثورة ، فقولوا نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتز به ، فإن ثرتم علينا ووقفتم في طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا ، وكنتم الثائرين الظالمين ... [١] .

ولقد امتد ولايزال مشروع الشيخ الإمام الشهيد حسن البنا ـ رحمه الله ـ ليشمل كل الجوانب المطلوب تحقيقها ، والسعي فيها لإحداث الصحوة الإسلامية

---

(١) من مجموعة الرسائل . حسن البنا . نقلاً عن كتاب الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري . ص ٧٩ . د/ محمد عمارة . دار الشروق . ط ١ . ١٩٩٦ م .

المنشودة والنهضة المطلوبة ؛ فشمل جميع المناحي العلمية والروحية التي تهم الإنسان المسلم على المستويين الفردي والجماعي متجاوزاً للحواجز السياسية والطبيعية والاجتماعية واللغوية بين كافة المسلمين .

وقد جمع في مشروعه التجديدي لدين الأمة الإسلامية بين الجانب الروحي والتربوي والاجتماعي ، وبين الجانب السياسي " الثوري الحركي " .

obeikandl.com